

الباب الثالث

"دور الأحابيش العسكري في العصر الجاهلي وصدرا الإسلام"

الفصل الأول: العرب والنظام العسكري في الجاهلية وصدرا الإسلام

الفصل الثاني: دور الأحابيش العسكري في العصر الجاهلي

الفصل الثالث: دور الأحابيش العسكري في وصدرا الإسلام

الفصل الأول

العرب والنظام العسكري في الجاهلية وصدور الإسلام

لم يكن العرب خاصة في منطقة الحجاز يجهلون النظم العسكرية والجيوش النظامية، خاصة أنهم كانوا يحتكون بالدول والحضارات المجاورة، لكن طبيعة بلاد الحجاز وانتشار الجبال والأودية بها حالت دون تأسيس مناطق عسكرية ثابتة يعتمد عليها العرب في حروبهم، والأهم من ذلك هو أن العرب كانوا منقسمين لقبائل ولكل قبيلة شأنها الخاص، ولكن إذا حدثت حرب بين قبيلة وأخرى نجد تلك القبائل تتحول إلى كتائب حربية يحارب فيها الرجال والنساء سوياً، ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن عمرو بن لحي الخزاعي عاش ثلاثمائة سنة وأربعين سنة حتى أنه كان يقاتل ومعه من أولاده ألف مقاتل^(١)، أضف إلى ذلك أن العرب عندما كونوا تحالفات فيما بينهم كان هذا التحالف بمثابة قوة عسكرية ضاربة يتم استخدامها إذا تعرضت أي قبيلة من قبائل الحلف للهجوم أو الإعتداء عليها، ويتضح ذلك في حلف الأحابيش الذي كانت قريش تعتمد عليه كثيراً في أكثر حروبها سواء في الجاهلية أو الإسلام كما سيتضح ذلك.

(١) السجستاني: المعمرين، مطبعة بريل، ١٨٩٩م ص ٣٦؛ ابن الجوزي: أعمار الأعيان، تحقيق/

محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤، ص ١١٧.

كما أن قصياً بن كلاب عندما أسس دار الندوة كان بمثابة مجلس للشورى وقيادة عامة يجتمع فيه قريش وغيرهم من العرب للمشورة وإعلان الحرب وعقد ألوية الجيش، ليس هذا فقط بل كانت لا تنكح امرأة ولا يتزوج زوج من قريش إلا فيها، ولا تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قرية إلا في داره ليشق عليها فيها درعها ثم تدرعه فتنتقل إلى أهلها، ويدخلها كل قريش ومن غير قريش بعد بلوغ من الأربعين^(١)، إلا أبناء قصي كانوا يدخلونها في أي سن.

وإذا كانت الأكاديميات والكليات العسكرية في العصر الحديث كان هدفها إخراج جنود قادرين على خوض الحروب وقيادتها، وتعليمهم كيف يصبحون جنوداً وقادة، فإن العرب كانوا قادة وعسكرية منذ نعومة أظفارهم ولعل الحروب التي خاضها العرب على مدار تاريخهم في العصر الجاهلي كانت بمثابة المدرسة الكبرى التي علمت العربي كيف يكون قائداً وعسكرياً لا يهاب المخاطر، مما أهلته بعد ذلك لسيادة معظم بلاد العالم، وبرز الكثير من الفرسان والقواد العرب سواء في جاهليتهم وإسلامهم وهم من الكثرة والشهرة بحيث لا تكفي هذه الدراسة لإحصائهم.

وكان من مظاهر الحياة العسكرية عند العرب هو معرفتهم للكثير من أسلحة القتال ومعرفة كيف يستخدمونها، ووصفوها في أشعارهم ومن

(١) العصامي: المصدر السابق، ج١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

أهم تلك الأسلحة السيف، فهو أحسن آلاتهم وأشهرها ذكراً وأكثرها أسماء وصفات وكان بعضها يصنع بالمدينة^(١)، حيث كان هناك اليهود، وأشهر السيوف هي السيوف التي كان يصنعها القيون، وهم بني أسد بن خزيمة وقيل أن أول من عمل السيوف من الحديد عند العرب هو الهالك بن مراد بن أسد ابن خزيمة، فلذلك قيل لبني أسد القيون^(٢).

والقيون هو الحداد، والجمع أقيان وقيون^(٣)، كما يقال لكل حداد مالكي، واشتهر من القيون سريخ من بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة القيون، وإليه ينسب السيوف السريجية^(٤).

ولم يقتصر العرب في الحصول على السيوف من المدينة، فكانوا يستوردونها من بعض الأمم المجاورة كالهند، وجاء ذلك في شعر لعنترة بن شداد:

أكر على الفوارس يوم حرب ولا أخشى المهتدة الرقاقا
و تطربني سيوف الهند حتى أهيم إلى مضارها اشتياقا^(٥)

(١) أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، نهضة مصر، القاهرة، ط ٢. د. ت،

(٢) ابن رشيقي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣) ابن منظور: المصدر السابق، ج ٧ ص ٥٦٥.

(٤) ابن رشيقي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٠٠.

(٥) أحمد الحوفي: المرجع السابق، ص ١٨١.

كما استوردوها من بلاد الروم والشام واليمن^(١).

ولم يكن السيف مجرد أداة للقتال فقط، بل حرص العرب على تزيينها وزرقتها وتشكيلها، فقد كان للنبي -صلى الله عليه وسلم- سيفاً يسمى ذو الفقار لحفر فيه يبدو أنها كانت حفر لتجميل شكل السيف، كما كان له -صلى الله عليه وسلم- ترس فيه تمثال رأس كبش فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبح وقد أذهب الله عز وجل^(٢).

وأحياناً كان يصنع السيف على شكل سمكة ويسمونها أحياناً نوناً مثل سيف مالك بن زهير المسمى بالنون وبذي النون.

ويقال أن بعض الملوك كانوا يصورون صورة الإمام علي بن أبي طالب على سيوفهم كأنهم يتفاءلون به النصر، مثل عضد الدولة وأبيه ركن الدولة، وكذلك فعل ألب أرسلان السلجوقي وابنه ملك شاه^(٣)، وكان العرب أحياناً يطلون سيوفهم بالذهب والفضة^(٤).

ومن أدوات القتال أيضاً الرماح، وكان يشتهر باستخدامها الحبش على وجه الخصوص، مثل وحشى بن حرب الحبشي -رضي الله عنه - قليلاً ما

(١) أحمد الحوفي: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٧٦.

(٣) أحمد تيمور: التصوير عند العرب، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٧٠.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٠٩.

كان يخطئ هدفه^(١)، واشتهر من الرماح، اليزنية نسبة إلى سيف بن ذي يزن الحميري ملك اليمن، وكذلك الرماح الخطية نسبة إلى جزيرة بالبحرين تسمى الخط^(٢) كما عرف العرب السهام، وكان العرب على علم واعتناء بتعليم الرمي بالسهام والتي كانت من أنكى أسلحتهم^(٣).

وأشتهر من الأحابيش القارة بالرمي حتى ضرب بهم المثل في ذلك، وأنشدوا مفتخرين بذلك:-

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فئة نلقاها

نرد أولاهها على أخرها^(٤).

كما عرف العرب أيضاً الدروع، واستخدمها الأحابيش وغيرهم من العرب واليهود، والدرع هو القميص المتخذ من الذرد، وقيل أنها تنسب إلى فرعون، قال راشد بن كثير:-

بكل فرعونية لونها مثل بصيص البغشة الغادية^(٥)

(١) ابن هشام: المصدر السابق، ج٣ ص١٦.

(٢) ابن رشيق: المصدر السابق، ج٢ ص١٩٨، ٢٠٠.

(٣) الألويسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣ ص٣٥٤.

(٤) الميداني: مجمع الأمثال، ج٢ ص١٢٢.

(٥) ابن رشيق: المصدر السابق، ج٢ ص١٩٩. والبغشة هي المطرة الضعيفة، والغادية هي

وقيل تنسب إلى داود وسليمان -عليهما السلام-^(١).

وقد كانت هناك أشكال عدة للدروع، وكانت موجودة بكثرة، ففي غزوة بني قينقاع (٥٢هـ) كان مع يهود بني قينقاع ثلاثمائة درع^(٢).

وكان في بعض الأحيان يقاتل العربي بين درعين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى غزواته، وكذلك فعل أبو سفيان وابنه سفيان بن حرب، وحرب بن أمية في حرب الفجار الرابعة التي إشتراكوا فيها مع الأحابيش، فقد لبس كل منهم درعين^(٣).

ومن الأسلحة الأخرى التي إستخدمها العرب بوجه عام والحجازيين بوجه خاص بما فيهم الأحابيش النبل، والإبل والخيول التي تعد من أهم أسلحة الحرب عند العرب وتسابقوا إلى اقتنائها وانتقائها، وعن الخيل وأهميتها يذكر ابن الكلبي: "كانت العرب تربط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفة بفضلها، وما جعل الله تعالى فيها من العز، وتشرفا بها، وتصبر على المخمصة والاءاء وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد وتفتخر بذلك في أشعارها وتعتده لها، فلم تزل على ذلك من

(١) ابن رشيقي: المصدر السابق، ج٢ ص١٩٩؛ والألوسي: بلوغ الأرب ج٢ ص٦٦. والأصح أن الفراعنة أقدم من إستخدمها كما يدل على ذلك النقوش الأثرية الموجودة على المعابد الفرعونية، كما كان داود عليه السلام أيضاً كان يتقن صنعها، وهو الذي آلان الله له الحديد، ولكن ليس هو أول من صنعها.

(٢) ابن هشام: المصدر السابق، ج٣ ص٦.

(٣) ابن حبيب: المنمق، ص١٧٧.

حب الخيل ومعرفة فضلها حتى بعث الله نبيه عليه السلام، فأمره الله باتخاذها وارتباطها^(١).

قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)^(٢).

ولقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - فضل الفرس في القتال، وجعل لها نصيباً من الغنيمة^(٣)، ففضلها في السهمين على أصحابها، فجعل للفرس سهمين ولصاحبه سهماً وللمشاة سهم، ويرى أبو حنيفة أن المسلمين إذا أصابوا الغنائم وأرادوا قسمتها فيعطي للفارس سهمان، سهماً له، وسهماً لفرسه وللراجل سهماً وقال: لا أجعل سهم الفرس أفضل من سهم الرجل المسلم وهو قول أهل العراق من أهل الكوفة والبصرة، إلا أن أبا يوسف يقول إنه للفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه وهو قول أهل الحجاز وأهل الشام^(٤) هذا بخلاف سهم الراجل.

وقد يكون السبب في تخصيص الفارس بثلاثة أسهم دون الرجل هو أن الفارس يتكفل بتوفير الأعلاف والمستلزمات الخاصة بخيله.

(١) ابن الكلبي: أنساب الخيل، تحقيق/ أحمد زكي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦.

(٢) الأنفال: ٦٠.

(٣) ابن الكلبي: أنساب الخيل، ص ٧.

(٤) الشيباني: شرح السير الكبير، تحقيق/ محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩٧م، ج ٣ ص ٣٥.

وقد كان من الصحابة من يجيدون ركوب الخيل. فقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يأخذ بيده اليمنى أذنه اليمنى، ويده اليسرى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزة ويثب فكانما خلق على ظهر فرسه^(١).

ومن الأقوال المروية عنه - رضي الله عنه - قوله: "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ورووهم ما يجمل من الشعر".

ومن الأسلحة الأخرى التي عرفها العرب وإستخدموها في حروبهم المنجانيق أو المنجنيق والجمع منجنقات ومجانيق، وهي مشهورة لا تحتاج للتعريف بها، وعن بداية استخدامها، قيل إن أول من صنع المنجانيق رجل من الأكراد يدعى هزن صنعها لقوم سيدنا إبراهيم - عليه السلام - عندما قرروا حرقه في النار^(٢).

وقيل أول من رمى بالمنجنيق هو جذيمة بن مالك الأبرش^(٣)، وقيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق رمى به

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣، المجلد الأول ص ١٣٣.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١ ص ١٥٠. والقصة مشهورة كما في سورة الأنبياء (٦٨ - ٧٠).

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١ ص ٣٦٢؛ والمبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج ٢ ص ٣١٩؛

التلمساني الخراعي: تخريج الدلالات السمعية، القاهرة ١٩٩٥، ص ٤٨٩.

أهل الطائف^(١)، ويبدو أنه لا تعارض بين الأقوال الثلاثة، فإن هزن هو أول من صنعها لغرض رمي إبراهيم الخليل في النار، ثم استخدمها جذيمة الأبرش قبل الإسلام، ثم أهمل استخدامه حتى أعاد النبي صلى الله عليه وسلم استخدامه في حروبه حيث استخدمه في حصار الطائف، ثم استخدمها المسلمون في صدر الإسلام، حيث استخدمها المسلمون في أثناء حصارهم لمدينة ينجر^(٢) سنة اثنين وثلاثين من الهجرة^(٣).

ومن الأسلحة الأخرى التي استخدمها العرب في حروبهم الدبابة، وهى آلة كالبيت الصغير يعمل من جلود الإبل والبقر والخشب تعمل للحصون، يدخلها الرجال فينقبون من داخلها ويكون سقفها حرزاً لهم من الرمي^(٤)، وسميت دبابة لأنها تدفع فتدب، وتستخدم عندما تكون هناك حصون يصعب اقتحامها، وفي حديث عمر -رضي الله عنه - قال: كيف تصنعون بالحصون؟ قال: نتخذ دبابات^(٥).

وقد استخدم المسلمون الدبابات في حصار الطائف^(٦).

(١) ابن هشام: السابق، ج٤ ص ٨٤؛ ابن الأثير ج٢ ص ١٣٧؛ الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، ص ٤٨٩، ٤٩١.

(٢) مدينة ببلاد الخزر، سكنها الأتراك الحموي: معجم البلدان، ج١ ص ٣٨٦.

(٣) الطبري: المصدر السابق، ج٢ ص ٧١٨.

(٤) ابن منظور: السابق، ج٣ ص ٢٨٣؛ الخزاعي: السابق ص ٤٩٣.

(٥) ابن منظور: السابق، ج٣ ص ٢٨٣.

(٦) ابن هشام: السابق، ج٤ ص ٨٤؛ ابن الأثير: السابق ج٢ ص ١٣٧.

كما عرف العرب أيضاً في حروبهم الأساطيل البحرية، وكان معرفة العرب بركوب البحر قديمة، فكانوا يركبونها في تجارتهم خاصة إلى الحبشة كما إستخدمها المسلمون في الهجرة إلى الحبشة والعودة منها أيضاً، ولكن إستخدم السفن في الحرب كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث تنبأ قبل وفاته أن المسلمون سوف يغزون في البحر، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنة ملحان^(١) فاتكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟ فقال "ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك علماء أسرة"، فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "اللهم أجعلها منهم" ثم عاد فضحك فقالت له مثل ذلك، فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين ولست من الآخرين"، قال: أنس فتزوجت عبادة ابن الصامت فركبت البحر مع فاخته بنت قرظة زوجة معاوية بن أبي سفيان، فلما قفلت ركبت دابتها، فوقعت بها، فسقطت عنها فماتت^(٢)

وقد كان ذلك في سنة سبع وعشرين مع معاوية حين استأذن عثمان بن عفان رضي الله عنهما في غزو قبرص فأذن له، فركب المسلمين في

(١) هي أم حرام بنت ملحان، خالة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وزوجة عبادة بن الصامت - رضي الله عنهما -

(٢) البخاري: الصحيح كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٨٧٧، ٢٨٧٨ باب غزو المرأة في البحر.

المركب حتى دخلها وفتحها قسراً^(١)، وأما الثانية فقد كانت في سنة اثنين وخمسين في أيام ملك معاوية حينما أمر ابنه يزيد على الجيش لغزو القسطنطينية وكان معه أبو أيوب الأنصاري فمات هناك^(٢).

وكانت الرغبة في إمتلاك سلاح بحري للمسلمين في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما أرسل إليه معاوية بن أبي سفيان يطلب منه ذلك، ولكن لما وصف عمرو لعمر - رضي الله عنهما - البحر قال عمر: "لا والذي بعث محمداً بالحق، لا أحمل فيه مسلماً أبداً" ولكن في خلافة ذو النورين عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦م) أعاد معاوية بن أبي سفيان الطلب على الخليفة عثمان في ضرورة امتلاك أسطول بحري أذن له الخليفة ولكن بشرط ألا يجبر أحد على ركوبه بل يكون الأمر اختيارياً، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة^(٣).

ومن هنا بدأ استخدام الأسطول في الفتوحات الإسلامية منذ صدر الإسلام، وكان أشهرها وقعة ذات الصواري (٣١هـ - ٦٥١م) حينما حقق

(١) ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم، ج١ ص ١١.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق، ج١ ص ١١.

(٣) إبراهيم على طرخان: المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، سجل العرب، القاهرة

المسلمون إنتصاراً ساحقاً على البحرية البيزنطية التي كانت أقوى بحرية آنذاك^(١).

وقد إستخدم العرب أيضاً طرقاً جديدة في الحروب بجانب استخدام أسلحة جديدة، مثل استخدامهم الخندق في الحرب كغزوة الخندق (٥هـ)، والذي أشار به الصحابي سلمان الفارسي - رضي الله عنه- وفي هذه الغزوة قال المهاجرون: "سلمان منا"، وقالت الأنصار: "لا بل سلمان منا"، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "سلمان منا أهل البيت"^(٢).

كما كان العرب لهم مواقيت يحاربون فيها وأوقات أخرى كانوا يحرمون فيها القتال مثل الأشهر الحرم وهي المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة^(٣)، وقد سمي شهر ذو القعدة بهذا الاسم لأن العرب كانوا فيه يقعدون عن القتال وعن الحروب والغارات^(٤)، حتى إن العرب لما قاتلوا في أحد هذه الأشهر سميت حربهم بالفجار لأنهم فجروا بمحاربتهم في الأشهر الحرم.

(١) إبراهيم طرخان: المسلمون في أوروبا ، ص ٦١.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق/أحمد علي، دار الحديث، ٢٠٠٠م ج ١ ص ٢٠٣

(٣) المسعودي: مروح الذهب ، ج ٢ ص ٢٠٨.

(٤) المسعودي: المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٠٨. ويقال إنما سمي بذو القعدة لقعودهم في رحالهم لا يطالبون كلاً ولا سيرة ، المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ١٩٩٦م ص ٢٠٦. وقد يكون المراد أحد سواء بالقعود عن القتال أو طلب الكلاً، لأن كثيراً ما كان يتسبب طلبهم للكلاً في وقوعهم في الحروب للحصول عليها.

وكان هناك أزماناً يستحب فيها القتال مثل الليل والنهار، لكن على ما يبدو أن أكثرها كان بالليل حيث كانت أكثر الإغارات ليلاً ففي هذا الوقت يكون القوم رقاد مما يحقق عنصر المفاجأة فيستولون على أكبر قدر من الغنائم وبأقل الخسائر^(١).

وقد جاءت بعض الأشعار تفيد بوقوع الحروب والغارات ليلاً مثل افتخار عنترة بكتيبة من أصحابه كانوا يغيرون معه وقد تمايلت أعناقهم من النوم وقادهم في الظلام قائلاً:-

وصحابة شم الأنوف بعثتهم ليلاً وقد مال الكرى بطلاه

وسريت في فلسي الظلام أقودهم حتى رأيت الشمس ذال ضحاها

ورأيت في كبد الهجير فوارساً فطعن أول فارس أولاهها^(٢).

ومن أشعارهم التي توضح غزوهم بالصباح قول عامر بن الطفيل:

صبحناهم بكل أقب نهدي ومطرده له يقدر الحديد

لقينا جمعهم صباحاً فكانوا كمثل الضأن عاداهن سيد^(٣).

(١) أحمد الحوفي: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٢) أحمد الحوفي: المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٣) أحمد الحوفي: السابق، ص ١٧٩.

الفصل الثاني

دور الأحابيش العسكري في العصر الجاهلي

لقد كان يلي أمر مكة والحرم الشريف قبل قريش خراعة، وسبق توضيح كيف جاءوا إلى مكة، وأخذت ولاية مكة والحرم تنتقل إلي يد الخزاعيين حتى وصلت حليل بن حبشية^(١) وقيل خليل بن حبشية^(٢) - والصواب حليل -، الذي يعتبر آخر من ولى ولاية مكة من خراعة وفي فترة ولاية حليل قدم قصي بن كلاب إلى مكة^(٣)، وتزوج من حبي بنت

(١) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٨٢؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢ ص ٨١

(٢) الأزرقى: المصدر السابق، ج ١ ص ١٢٧؛ ابن الضياء: تاريخ مكة، ص ٥٩.

(٣) كان قصي بن كلاب ابناً لقلاب بن مرة الذي كان له ولد يدعى زهرة ويسمى أيضا بالمغيرة، وقد أنجبه كلاب من فاطمة بنت سعد بن سيل، وبعد فترة من الزمن أنجب كلاب من فاطمة أختاً لزهرة يدعى زيد (قصي بعد ذلك) وكانت الشيخوخة وكف البصر قد نال كلاب، وما لبث كلاب أن توفي وابنه لم يتجاوز سن الفطام، وفي ذلك الحين قدم وفد حجاج من قضاة فيهم ربيعة بن حزام من بني عذرة فتزوج من فاطمة وحملها معه هي وأبناها زيد إلى بلاد قضاة بأطراف الشام، فسمي زيد بقصي لتباعده عن عشيرته في بلاد قضاة، وتركت فاطمة ابنها زهرة مع قومه لكبره، وكان قصي يعرف أنه ابن ربيعة بن حزام ولا شيء غير ذلك حتى وقع عراك بينه وبين أحد القضاة، ولما غلبه قصي قال له القضاة لا تلحق بنسبك وقومك فسأل قصي أمه عن حقيقة أهله، فأخبرته بما كان، وهم قصي على العودة لمكة، إلا أن أمه أفتته بالمكوث حتى يذهب مع وفد الحجيج، ولما عاد قصي لمكة تعرف عليه أخيه زهرة، ثم أخذ قصي ينمو ذكره ومكانته بين المكيين حتى تزوج من حبي بنت جليل بن حبشية. الأزرقى ج ١ ص ١٢٧ ابن حبيب: المنطق ص ٣١، ابن سعد، ج ١ ص ٩٣، ٩٤، البلاذري ج ١ ص ٤٨، الفاسي: شفاء الغرام ج ٢ ص ٨١، ابن الضياء: السابق ص ٥٩، البرزنجي: شرح المولد النبوي، تحقيق نادي فرج، مركز ابن العطار للتراث، القاهرة ص ٧٨.

حليل بن حبشية، بعد أن ظهرت مكانته، وأنجب قصي منها أربعة أولاد هم: - عبد مناف ويسمى المغيرة، وعبد الله وهو عبد الدار وعبد العزى وعبداً^(١) وقد انقرض عقب عبد^(٢)، وأنجب قصي من البنات برة وتخمر^(٣).

وقد كان قصي يخطط للاستيلاء على ولاية الحرم ومكة لأنه كان يعتبر ذلك حقه وإرثه من جده إسماعيل عليه السلام، ويبدو أن الظروف كانت موالية لقصي لكي يحقق هدفه، فقد كان حليل بن حبشية كبير وضعف، فإذا اعتل أعطى ابنته مفتاح الكعبة لفتحها وإذا اعتلت هي الأخرى كانت تعطي المفتاح لقصي أو بعض ولدها فيفتحه^(٤) بعد أن تزوجت بقصي، وفي بعض الأحيان كانت تعطي المفتاح لأخيها المخترش الشهير باسم أبي غبشان بن حليل^(٥).

وقبيل وفاة حليل بن حبشية أوصى لقصي بسدانة البيت إكراماً لابنته، وقيل بل سأل المخترش أن يجعل إليه السدانة مقابل ناقة كانت له وزق خمر^(٦) وقيل بل ابتاع قصي ولاية مكة بزق خمر فقط من أبي غبشان فحمل قصي المفتاح إلى قومه القرشيين فقال لهم: هذا مفتاح بيت أبيكم

(١) ابن الكلبي: جمهرة النسب ص ٢٦؛ الطبري: السابق ج ١ ص ٥١٣.

(٢) ابن حزم: جمرة أنساب العرب، ص ١٥.

(٣) ابن الكلبي: المصدر السابق، ص ٢٦.

(٤) الفاسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٨١.

(٥) البلاذري: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٩.

(٦) البلاذري: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٩.

إسماعيل قد رده الله عليكم من غير غدر ولا ظلم، فلما أفاق أبو غبشان ندمه أصحابه على ما فعل فأنكر البيع وقال: إنما رهته عنده رهناً بحقة، فقال الناس أخسر من صفقة أبي غبشان^(١)، وأحمق من أبي غبشان^(٢) وأندم من أبي غبشان^(٣).

عندئذ وقعت نار الحرب بين القرشيين الذين كانوا يقيمون آنذاك متفرقين في الشعاب حول مكة في بني كنانة^(٤)، وبين خزاعة التي كانت تلي مكة والحرم والبطحاء^(٥)، وكانت الحروب بينهما طاحنة، وكانت محاولات الصلح بين الطرفين وتبادل الرسل فيما بينهم لا تجدي، فقرر قصي أن يستعين في حربه ببني كنانة^(٦)، وأخيه من أمه رزاح بن ربيعة ومعه ثلاثة أخوة من أبيه من امرأة أخرى^(٧)، فقدم رزح وأخواته الثلاثة

(١) الفاكهي: المصدر السابق، ج ٥ ص ١٧١، ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق / محمد علي، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩، ص ٣٩.

(٢) الميداني: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٠؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ص ٣٩.

(٣) الميداني: السابق، ج ١ ص ٢٨٠، ج ٢ ص ٤١٩؛ ابن الجوزي: السابق ص ٣٩.

(٤) اليعقوبي: السابق، ج ١ ص ٢٠٣.

(٥) البلاذري: السابق، ج ١ ص ٤٩.

(٦) يقال أن قصي سار إلى بني كنانة لئلا تنصرته في حربه ضد خزاعة وأرى أن الذين ساعدوا قصي في حربه من بني كنانة هم بني الحارث بن عبد مناة الذين استنصر بهم ابنه عبد مناف وعقد معهم حلف الأحباش، وكذلك بني الدليل بن بكر الذي كانوا ضمن الأحباش وكان لهم حلف قديم مع السيل جد فاطمة أم قصي بن كلاب. ابن سعد: ج ١ ص ٩٣. أما باقي بطون بني بكر بن عبد مناة وقفت ضد قصي.

(٧) الطبري: السابق، ج ١ ص ٥١٣.

وجماعة من قضاة^(١)، واندلعت الحرب واقتتل الفريقان قتالاً شديداً وكثر القتلى، فتم الاتفاق على الصلح، ويقال أن قصياً قد برز على فرسه مخاطباً خزاعة قائلاً "يا معشر خزاعة، لما كان لكم مفتاح البيت والملك علينا، أناز عناكم في شيء من ذلك؟ قالوا: لا، قال: فلما أعاد الله لنا بيت آبائنا^(٢) لم حسدتمونا فيه وجعلتم تقتاتلونا عليه؟ وأيم الله، لو قاتلنا عليه ولم نأخذه بحق، لكننا في ذلك معذورين، فإن طلب الوراثة في الرياسة مكرمة، وقد علمتم أننا لا نخليه أبداً، وهؤلاء إخواننا بنو كنانة معنا لا معكم^(٣)، وأنتم غرباء بعد أرض اليمانية^(٤) في أرض المعدية^(٥)، فإن جنحتم إلى السلم وطلبتم القرار في مهاد العافية، فأقيموا طالبي ملك ولا حاجة لنا في غير هذا البيت وجوره، فإن إنقذتم إلى ما قلته إنقذنا إلى حسن جواركم وشدخت هذه الدماء التي بيننا وإن أبيتتم فالسيوف لها الحكم والنصر من السماء، وللأمور دلائل، وللإقبال علامات، والشقي من عاند السعد عند إقباله"^(٦).

(١) يقال أن رزاح قدم في ثلاثمائة رجل. الفاسي: تحفة الكرام، ورقة ١٩٦ ب.

(٢) يشير قصي إلى ولاية وإشراف أجداده، إسماعيل عليه السلام ونبيه على البيت قبل أن يستولى عليها الجراهمة والخزاعيين.

(٣) الذين وقفوا مع قصي من بني كنانة بني الحارث بن عبد مناه وبني مالك بن كنانة الذي أفرهم قصي على النسيء كما كانوا عليه، أما باقي بني بكر كانوا ضده.

(٤) حيث أن الخزاعيين يرجع أصلهم إلى اليمن التي هاجروا منها بعد انهيار سد مأرب.

(٥) أرض معد بن عدنان جد العرب الشمالية الذين منهم قريش.

(٦) ابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب في جاهلية العرب تحقيق / نصرت عبد الرحمن، مكتبة

وبعد كلام قصي هذا قرر ذوي العقل والحكمة من خزاعة أن يقبلوا ما قاله قصي ويوقفوا أتون الحرب التي راح ضحيتها أكثر من خمسمائة وعشرين قتيلاً، وثلاثين جريحاً^(١) من قريش وبني كنانة دون قتلى خزاعة وبني بكر، وتم الاتفاق على أن ينزل أطراف النزاع على حكم يعمر بن عوف من بني بكر بن عبد مناة، والذي حكم بأن قصياً له الحق فحجابه الكعبة وولاية أمر مكة دون خزاعة، وأن تبقى خزاعة في مساكنها كما هي ولا تخرج من مكة^(٢).

كما قضى بأن كل دم أصابته قريش من خزاعة موضوع يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر بن عبد مناة من قريش وبني كنانة فيه الدية فودوا خمسمائة وعشرين دية وثلاثين جريحاً^(٣)، فسمي يعمر بن عوف بالشداخ لما شدخ من الدماء^(٤).

واستتب الأمر لقصي وأدخل قريش الظواهر فكان قريش البطاح الذين أدخلهم قصي داخل مكة^(٥).

وقبائل قريش البطاح هم بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار وبنو عبد العزى وبنو عبد بن قصي بن كلاب وبنو زهرة بن كلاب، بنو يتم وبنو مخزوم بن

(١) الشامي: سبل الهدى والرشاد، ج١ ص ٣٢٤.

(٢) الأزرقى: ج١ ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) الشامي: ج١ ص ٣٢٤.

(٤) الأزرقى: ج١ ص ١٢٩، الشامي: ج١ ص ٣٥٤.

(٥) البلاذري: ج١ ص ٥١.

يقظة بن مرة، وبنو سهم، وبنو جمح أبناء عمرو بن بهيص بن كعب وبنو وبنو عدى بن كعب وبنو حسل بن عامر بن لؤي وبنو هلال بن أهيب بن ضبه ابن الحارث فهر، وسموا أبطحيين لأنهم دخلوا مع قصي البطاح^(١).

أما قبائل قريش الظواهر فهم بنو معيص بن عامر بن لؤي، وتيم الأدرم ابن غالب بن فهر، ومحارب والحارث ابنا فهر، إلا بني أهيب بن ضبه وبني هلال بن مالك بن ضبه فإنهم أبطحيون أدخلهم قصي مع قريش البطاح^(٢) لمكة.

أما سائر قريش ليسوا بطاحاً ولا ظواهر وهم:-

سامة بن لؤي، وقع إلي عمان تحالفوا مع أزد عمان، والحارث بن لؤي ذهبوا إلى اليمامة فهم في بني هزان من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار والحارث وهو جشم^(٣)، وخزيمة بن لؤي وقعوا بالجزيرة إلى بني الحارث ابن همام بن مرة بن زهل بن شيبان، وسعد بن لؤي، وبنو عوف بن لؤي وقعوا إلى غطفان، وقد ألحق عثمان بن عفان رضي الله عنه هذه القبائل بقريش حين تولى الخلافة^(٤).

(١) ابن حبيب: المحبر، ص ١٩٠.

(٢) ابن حبيب: المحبر، ص ١٩١.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٩١.

ولقد عمل قصي على الاستئثار بالوظائف الدينية والسياسية، ووزعها بين أولاده ، فيقال إن أول شيء فعله هو الاستيلاء على ما كان في يد بني صوفة بن مر من إجازة الحاج، وكان هذا التصرف من قصي قد أغضب خزاعة وبني بكر وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة^(١)، فتسبب ذلك في الحروب التي وقعت بين بكر وخزاعة ضد قصي وحلفائه والتي إنتهت بحكم الشداخ بأحقية قصي بأمر مكة، ثم قام قصي بتأسيس دار الندوة، لما كبر قصي وفرق المناصب والوظائف على أولاده، فجعل الحجابة والندوة والسقاية والرفادة واللواء لعبد الدار وهو أكبر أولاده وكان ضعيفا مسناً فخصه بذلك ليلحقه بإخوته^(٢). وبعد ذلك اقتسم أبناء عبد الدار وأبناء عبد مناف هذه الوظائف^(٣).

(١) الطبري: ج١ ص ٥١٤.

(٢) ابن حبيب المصدر السابق ، ص ٣٢.

(٣) أحمد الشريف: المرجع السابق ص ١٠٦. على الرغم من الأشياء التي قام قصي بتأسيسها مما رفع من مكانة مكة أكثر مما كانت عليه ، وكثرة الأعمال التي شيدها ونظمها جعل بعض المستشرقين يشككون في وجود قصي ، واعتبروه أسطورة لا وجود لها ترجع إلى نص نبطي ورد عليه اسمه ليقول أن قصياً كان شبه معبود عربي قديم انتقلت عبادته من الأنباط إلى مكة مع دخول قريش في المدينة وكان دخول هذه الأسطورة تقريبا عام ٣٠٠م فيكتور سحاب: المرجع السابق ص ٢٨٦-٢٨٧. ويكفي بالرد على هارتمان صاحب هذا الإدعاء أنه لم يذكر بين آلهة ومعبودات العرب وخاصة المكية أي إله أو صنم يدعى بقصى ، ويكفي وجود دار الندوة التي أسسها قصي إلى عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله الذي هدمها ، وأدخلها في المسجد وكان قبل ذلك دار الإمارة مكة منذ عهد الخليفة معاوية الذي اشترها بمائة ألف درهم فجعلها مقراً لإمارة مكة ، كما أن أجداد وأمهات وأبناء قصي غير مجهولين ، ولاشك أن هذا الادعاء هو من الادعاءات

لم تدم الوحدة القبلية التي أسسها قصي على ما كانت عليه من القوة والمتانة، فكان قصي قبل وفاته أسند إلى ابنه الأكبر عبد الدار السقاية واللواء والرفادة والحجابه وأعطاه مفتاح الكعبة^(١)، ولعل السبب في ذلك بخلاف كبر سن قصي، هو المكانة التي تبوؤها عبد مناف بن قصي، فخاف قصي من النزاع ووقوع الشقاق بين أبنائه بعد وفاته، فحسم الأمر وأسند إلي ابنه عبد الدار الأمر من بعده، فما كان من الأبناء إلا النزول على رغبة أبيهم وظل عبد الدار يلي أمر مكة طيلة حياته^(٢).

ولكن من اللافت للنظر أن بعد وفاته قصي أخذ الضعف يدب في الوحدة التي أسسها قصي رويداً رويداً، وتطلع بني بكر بن عبد مناة إلى استرداد ما كانوا عليه قبل أن يجلبهم قصي مع خزاعة عن مكة، ويبدو أن خطر بني بكر أصبح يزداد مما جعل بني عبد مناف بن قصي يسارع إلى الأحابيش ليقفوا معه ويساندوه في مواجهة تهديدات بني بكر فبعث عبد مناف إلي بني الهون بن خزيمة وبني الحارث بن عبد مناة واللذان أرسلاهم الآخرا ن إلى بني المصطلق والحيا الخزاعيين فأجابوهم فأقبلت بني الهون يقودها أبو ضرار بن مالك، وأقبلت بني الحارث يقودها شيطان

والخزعات التي كان يجئ بها بعض المستشرقين في محاولاتهم للمجيء بأشياء والتشكيك في أشياء متعلقة بتاريخ العرب والمسلمين، ومن هؤلاء المغالين المتعصبين لامنس والذي سبق وأن تعرض الباحث له ولبعض آرائه.

(١) محمد هيكل: حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٥، ص ١١٢.

(٢) محمود عرفه: العرب قبل الإسلام، ص ١٩٤.

بن عمرو أخو بني أحمر^(١)، وخرج عبد مناف إليهم فحالفهم^(٢)، فكان ذلك على ما يبدوا أول حلف تعقده قريش مع الأحباش.

ويقال إن قصياً هو الذي عقد الحلف قبل ذلك، حيث حالف عامر بن عوف المسمى بمسك الذئب، ويقال بل الذي حالفه عبد مناف وزوجه ابنته ريطه^(٣) التي إشتراك في عقد حلف الأحباش مع قريش كما سبق ذكر ذلك، ولا يستبعد أن يكون قصي هو الذي بدأ بعقد التحالف بين قريش والأحباش ثم عمل عبد مناف على تأصيل هذا التحالف بتزويج ابنته بأحد كبار زعماء الأحباش، وتوثيق التحالف مع الأحباش، وضمن أن يقف الأحباش بجانب صهرهم عبد مناف الذي سيصبح بعد ذلك جداً لأبناء سيد الأحباش عامر بن عوف.

ولا شك أن خبر عقد عبد مناف لحلف الأحباش مع قريش لم يكن إلا لوثوق عبد مناف في الأحباش وخاصة بني الحارث بن عبد مناة الذين كانوا معروفين بأنهم من أعز بني كنانة، وأمنعهم وأنفعهم وأجودهم^(٤)، لذا كان القرشيون يتسابقون لعقد الحلف مع أبناء الحارث بن عبد مناة سادة الأحباش، ومصاهرتهم كما فعل عبد مناف من قبل، ثم

(١) قد يكون المقصود ببني أحمر أبناء عمرو بن الحارث، وكان عمرو يدعى بالأحمر الحموي:

المقتضب، ص ٨٣.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٣١. وقيل بل اسمه عمرو بن هلال بن معيط. البلاذري:

ج ١ ص ٥٢.

(٤) القالي: المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٤.

تسابق قريش لعقد الحلف مع خالد بن مبدول أبو قارظ من بني الحارث بن عبد مناة عندما دخل مكة، فكلهم دعاه إلي أن ينزله أو يزوجه، فتم الأمر في نهايته إلي تحالفه مع عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، وتم تشديد هذا الحلف داخل المسجد الحرام^(١).

بهذه التحالفات وغيرها من التحالفات التي عقدتها قريش مع الأحباش، أو أحد عشائر وبطون الأحباش على حدة، كان كفيلاً وحده للحد وتحجيم اعتداءات بني بكر وغيرهم على قريش.

ولقد بقيت الأمور مستقرة إلي حد ما بعد أن عقد عبد مناف الحلف مع الأحباش، وكان عبد مناف قد أنجب أربعة أولاد هم: - هاشم وعبد شمس والمطلب، أمهم عاتكة بنت مرة من بني ذكوان، أما الرابع فهو نوفل من امرأة تدعى بواقدة بنت عمرو المازنية^(٢).

وقيل في عدد أبنائه غير ذلك^(٣).

وجدير بالذكر أن عبد مناف قد تزعم قريشاً لكنه أبقى على المناصب التي كانت في يد عبد الدار في يد أبنائه، والدليل أن بني عبد مناف لما

(١) ابن حبيب: السابق، ص ٢٣٩.

(٢) العصامي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) قيل أن عبد مناف ولد ستة نفر وستة نسوة، هم المطلب وعمرو (هاشم)، وعبد شمس وتماضر وحنة (حية) وقلابة وبرة وهالة أمهم عاتكة الكبرى بنت هلال من بني ذكوان بن سليم، ونوفل وأبا عبيد مات صغيراً، وأمهم واقدة بنت ابي عدى، وريطة، وأمها من ثقيف وأبو عمرو أمه من ثقيف. ابن هشام: ج ١ ص ٦٩، ابن سعد: ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧.

عظم شأنهم رأوا أنهم أحق بما يتولاه بنو عبد الدار منهم^(١)، فكان صاحب أمر بني عبد مناف: عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسن بني عبد مناف^(٢)، وقيل بل كان المطلب هو أكبر بني عبد مناف^(٣) وقيل هاشم^(٤) وهو توأم عبد شمس كما قيل، إلا أن أهم من قام بالأمر بعد عبد مناف هو المطلب أو عبد شمس لأن عبد المطلب هو الذي كان يقود قريش في حروبها ومعه الأحابيش، فقد كان هاشم كان كثير التجارة لا يستقر به المقام بمكة، فكان كثير الترحال حتى أنه توفي في غزة^(٥)، وعمره على ما قيل خمسة وعشرون سنة، ويذكر ابن سعد أن المطلب هو أكبر أولاد عبد مناف وهو الذي عقد الإيلاف مع النجاشي^(٦)، ومن المعروف أن الذي عقد الإيلاف مع نجاشي الحبشة هو عبد شمس^(٧)، الذي تولى أمر بني عبد مناف قبل هاشم ثم تولاه هاشم فترة ثم تنازل

(١) البلاذري: ج ١ ص ٥٥.

(٢) قيل أن عبد شمس وهاشماً ولداً معاً وكانت جباهما ملصقة بعضها ببعض فأخذ السيف ففرق بين جباهما بالسيف، فقال بعض العرب، أفرق ذلك بالدرهم، فإنه لا يزال السيف بينهم في أولادهم إلى الأبد. المقرئزي: التنازع والتخاصم. طبعت ضمن مجموعة رسائل المقرئزي بدار الحديث. تحقيق: رمضان البدرى القاص ٢٠٠٦ ص ٢٤ وأن كنت اعتقد أن هذا ليس له أساس من الصحة.

(٣) ابن سعد: ج ١ ص ١٠٦.

(٤) محمد هيكل: المرجع السابق، ص ١١٢.

(٥) ابن حبيب: المحبر، ص ١٨٦.

(٦) ابن سعد: ج ١ ص ١٠٦.

(٧) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٨٧.

عنها إلى المطلب لأن هاشم كان سفاراً لا يقيم بمكة لانشغاله بالتجارة لذا فقد آل الأمر للمطلب.

وعلى كل حال لما تطلع بنو عبد مناف إلي ما في يد بني عبد الدار من مناصب انقسمت قريش قسمين، قسم مع بني عبد مناف وهم بنو أسد بن العزي بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر^(١)، فتحالفوا وسمي حلفهم بالمطيين^(٢).

أما بنو عبد الدار فتحالف معهم بنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدى فسمي حلفهم بالأحلاف ولعقة الدم^(٣).

وكادت الحرب تقع بين الطرفين لولا الاتفاق على الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، فكانت من نصيب بني هاشم، أما الحجابة واللواء والندوة فكانت لبني عبد الدار كما كانت، وبقي الفريقان بعيدين عن الحرب لكن كل منهم مع حليفه حتى جاء الإسلام^(٤).

ولكن في تلك الفترة التي كان فيها القرشيون منقسمين لفريقين، حاول بنو بكر انتهاز الفرصة لكي يحققوا بعض المكاسب، وحدثت حادثة

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١ ص ٩٢.

(٢) الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٦٩.

(٣) الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٧٠.

(٤) الفاسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٩٣.

قررت فيها قريش بقيادة المطلب ومعه الأحابيش إخراج بني ليث بن بكر بن عبد مناة من تهامة وذلك ما سيتضح في أحداث معركة ذات نكيف.

معركة ذات نكيف:

سميت هذه المعركة الحربية باسم موضع يسمى "ذو نكيف"، وهو من ناحية يلملم^(١) من نواحي مكة^(٢)، وكانت تسكنها بعض قبائل بني كنانة وهي الآن ميقات الحج لأهل اليمن.

وكانت هذه المعركة بين قريش بقيادة المطلب بن عبد مناف^(٣) وقيل بقيادة عبد المطلب بن هاشم^(٤)، والصواب المطلب على أرجح الأقوال، ومعها الأحابيش من بني الحارث بن عبد مناة، وبنوا المصطلق من خزاعة والقارة بنو الهون بن خزيمة وهم عضل والديش^(٥).

وكان رؤساء الأحابيش يؤمئذ حطمط بن سعد وأبو حارثة والحبيش بن عمرو وكلهم من بني الحارث بن عبد مناة^(٦).

(١) جبل على ليلتين من مكة من جبال تهامة، ويسمى الآن وادي لملم في وادي السعدية.

البكري معجم ما استعجم ج٤ ص ٢٢٥ هامش رقم ٣ من نفس الصفحة.

(٢) الحموي: معجم البلدان، ج ٨ ص ٤٠١.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١١٠ البلاذري: ج ١ ص ٧٦.

(٤) الحموي: المصدر السابق، ج ٨ ص ٥٠٤؛ ابن الأثير: السابق ج ١ ص ٤٣٩.

(٥) ابن حبيب: المصدر السابق ص ١١٥.

(٦) ابن حبيب ص ١١٥.

وكانت المعركة بين بني ليث بن بكر بن عبد مناة الذين كان يقودهم بلعاء ابن قيس وأخوته جثامة وحميصة وقتادة بن قيس، وكان سبب هذه الحرب يكمن في البغضاء التي تكنها بنو بكر لقريش منذ أن أقصاهم قصي من مكة مع خزاعة فحاولوا أن يخرجوا قريش من الحرم^(١)، وحدث أن أصاب بني ليث بن بكر أثناء إقامتهم بتهمامة سنة، فسارت بنو ليث حتى نزلوا بأسفل تهمامة ومما يلي يللمم ويلى اليمن، وكان يقطن بجوارهم في تلك المنطقة رجلاً يدعى عوفاً القاري وكان حليفاً لهشام بن المغيرة والعاص بن وائل^(٢)

وكان هذا القاري لديه ثلاثون ذوداً من الإبل، وكانت بنو ليث تحاول أن تواجه السنة التي أصابتهم بالقيام ببعض الغارات على العرب المجاورين لهم، وفي إحدى الغارات خرج بلعاء بن قيس مع أصحابه وخلف أخاه قتادة ابن قيس على قومه، وفي إحدى الليالي تطلع قتادة إلى إبل جارهم القاري وقرر الإستيلاء عليها، ووافق في ذلك رجلان، الأول من قومه ويدعى صدوف الليثي، والآخر من بني زبيد كان جاراً لهم، في حين حاول عمير ابن عامر بن الملوح ومعبد بن عامر بن الملوح إثناء قتادة على ما هم به وقالوا له أن القاري له قوم يغضبون له ويحوظونه، يقصد بذلك هشام بن المغيرة والعاص بن وائل حلفاء القاري^(٣)، كما أن

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) ابن حبيب: ص ١١٣.

(٣) الذود أقل من ناقتين وهو ما بين الثلاث إلى العشر. ابن منظور: ج ٣ ص ٥٣٤، المقري:

القارة التي منها عواف القاري ضمن تشكيل الأحابيش الذين لا يستهان بهم.

فقام قتادة بن قيس وصاحبه تحت أستار الليل بالإغارة على إبل القاري فسطوا عليها وقتلوا ابن عواف القاري وكان شاباً، ثم قسم قتادة عشر إبل قام بنحرها على من فى الحي، أما الباقي فقسمها فى قومه ما بين بغير وبغيرين، وأرسل منها إلى عمير ومعبد بن عامر بن الملوح اللذان حاولا إثنائه عن القيام بفعلته، ولما علم عواف القاري بما حدث ذهب إلى حلفائه هشام بن المغيرة والعاص بن وائل وأعلمهم بما حدث وطلب القصاص لمقتل ابنه من الجناه، إلا أن هشام والعاص انتظرا عودة بلعاء بن قيس من غارته ولما عاد طلبا منه تقديم أخيه قتادة لقتله كما قتل ابن القاري فرفض بلعاء ذلك.

ويرفض بلعاء تقديم أخيه للقصاص اندلعت نيران الحرب فقاد المطلب جيشاً جراراً^(١) مقداره ألف من بني عبد مناف والأحابيش، وخرج بلعاء هو الآخر يقود جيشاً جراراً أكثر من الجيش الذي فيه الأحابيش والمطلب، ولكن العبرة ليست بكثرة العدد وإنما بالشجاعة والإقدام عند

(١) لم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس ألفاً، وقد قاد المطلب بن عبد مناف بني عبد مناف وأحلافها من الأحابيش، كما قاد بلعاء بن قيس بني بكر يوم ذات نكيف، والمشلل. ابن حبيب: المحبر، ص ٢٥٦.

البأس، وهذا ما كان يتميز به الأحباش خاصة بني الحارث بن عبد مناة الذين كانوا معروفين بالنجدة والشجاعة^(١).

وبدأت المعركة بالرمي بالنبل وكانت البداية لصالح القارة الذين كانوا مشهورين بالرمي وضرب بهم المثل في ذلك فقيل:-

" قد انصف القارة من رامها"^(٢).

وظل الفريقان يرميان بالنبل حتى فנית، فتم سل السيوف، واشتد أتون المعركة وتحمس كل فريق للنصر، فقام المطلب وحطمط أحد رؤساء الأحباش يومئذ بحث قومهم على القتال، فحطم الأحباش جفون سيوفهم وأبلوا بلاءً حسناً^(٣)، فانهزم بنو ليث بن بكر ولاذوا بالفرار، والأحباش وقريش في إثرهم يعملون فيهم السيف قتلاً، فلجأ بنو ليث إلى البيت الحرام متعوذين به، فأخرجتهم قريش من الحرم، فقام عبيد بن السفاح القاري وكان من الأحباش، ومن قوم عواف القاري الذي اعتدى علي إبله وقتل ابنه، مبارزاً لقتادة بن قيس وطعنه عدة طعنات حتى أن قتادة لم يبق به إلا رمقة واحدة سرعان ما لفظها ومات بعد أن تفرق القوم من حربهم^(٤)، وأسفرت هذه الحرب عن إجلاء قريش والأحباش لبني

(١) القالي: الأمالي، ج٣ ص ٢٤.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٩، الميداني: المصدر السابق، ج٢ ص ١٢١.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١١٦.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١١٦؛ ابن الأثير: السابق ج١ ص ٤٣٩.

ليث من تهامة، فسار بنو ليث في بني جعفر، وحالفوا طفيل بن مالك بن جعفر، وظلوا مقيمين في بني عامر ثلاث سنوات^(١).

معركة المشلل:

بالضم ثم الفتح وفتح اللام أيضاً، والشّل الطرد وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر^(٢) وهو قبل قديد بثلاثة أميال، وهي التي كانت عندها مائة الطاغية في الجاهلية^(٣) ويقال إن بالمشلل ماء غسان^(٤).

وقد وقعت عندها معركة عظيمة بين قريش والأحباش ضد بني ليث فسميت المعركة باسم المكان الذي قامت فيه المعركة.

وسبب معركة المشلل أنه بعد إجلاء قريش والأحباش لبني ليث عن تهامة بعد هزيمتهم في ذات نكيف نزل بنو ليث في بني عامر وحالفوا طفيلاً بن مالك بن جعفر، وظلوا مقيمين معهم ثلاث سنوات، حتى حدث أن اعتدى رجل من بني أبي بكر بن كلاب على بعير لبلعاء بن قيس فسرقه ثم نحره فغرم طفيل مكانه بعيرين حتى لا تقوم حرب مع بني ليث.

وبالرغم من ذلك ظل طفيل متوجس خيفة من أن يقوم بلعاء بالانتقام، فعزم طفيل على أن يتبرأ من عقد وجوار بلعاء، لكن بعد انقضاء الأشهر

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١١٦.

(٢) الحموي: المصدر السابق، ج ٨ ص ٢٧١.

(٣) الحربي: المناسك، تحقيق/عبد الله الوهية، مجلة العرب، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص ١٦٨.

(٤) صالح العلي: الحجاز في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١، ١٩٩٩م، ص ٢٦٦.

الحرم، إلا أن ليلي بنت طفيل أعلمت بلعاء بما عزم عليه أبوها فخطط بلعاء أن ينتظر هو وقومه إلى آخر يوم من الأشهر الحرم، فيقوم النساء والأنعام والأثقال بالتوجه نحو تهامة، وأن يقيم الرجال في البيوت حتى إذا أمسوا وجنّهم الليل يغيرون على بني جعفر وبني هلال، وبالفعل تم ما خطط إليه بلعاء فقتلوا واستاقوا منهم ما قدروا عليه من النعم ثم انصرفوا راجعين إلى تهامة، وأمر طفيل بعدم ملاحقتهم^(١)، وبعد قيام بني ليث بفعلتهم نزلوا بالمشلل، وعلم هشام بن المغيرة والعاص بن وائل، فقررنا أن يجمعا قريش والأحباش ويسيروا^(٢) إليهم، ولكن لم يشارك كل الأحباش في هذه المعركة حيث غاب عنها بنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق ولم يشترك فيها من الأحباش غير عضل والديش والقارة، وقبل تحرك قريش كان هناك مسئولية من يحمل اللواء، فحمله العاص بن وائل، وكان بعض القرشيين من بني عبد مناف فيهم عتبة وشيبة أبناء ربيعة والمطلب بن الأسد وأبو حذيفة ابن المغيرة وأبو أمية بن المغيرة ونبيه ومنبه ابنا الحاج رفضوا أن يخرجوا لقتال بني ليث لأنهم أخوالهم، فخافا أن تحدث العرب أنهم ساروا لقتال أخوالهم، ولعل تغيب بني الحارث بن عبد مناة وبني المصطلق والحيا يرجع إلى تغيب حلفائهم بني عبد مناف عنها هم الآخرون.

(١) ابن حبيب: المنمق، ص ١١٧.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١١٨.

وعلى كل حال لما قرر العاص بن وائل حمل لواء قريش والأحبابيش قال له سعيد بن العاص أتحلف عند إساف أن لا تفر قال: نعم، فأخذه العاص فحمله ثم أتى إلى إساف فحلف عنده ألا يفر أو يموت، وكان سعيد بن العاص يعلم أهمية اللواء في الجيش حتى أنه قال يومئذ إنما هلاك القوم لوأوهم^(١)، ولذا لم يتقدم أحد لحمل اللواء مهابة مما قاله سعيد، حتى تقدم العاص بن وائل وحمله، واندلعت المعركة، والعاص يحث قريش ومن إشتراك من الأحبابيش على القتال، حتى قام شخص يدعى خالد بن مالك بالحمل على العاص بن وائل فطعنه وصرع العاص بن وائل وأخذ اللواء من يده فلما رأت قريش اللواء قد أخذ وصرع العاص هربت ومعها الأحبابيش منهزمين، ولما علم سعيد بن العاص قال يا للعار لم يحام على العاص بن وائل قومه وهربوا عن اللواء ولم يعودوا إلى حملته، هذا الذي خفت عليكم وأعلمتكم أن الحرب دول وسجال^(٢).

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١١٩.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١١٩. هذا الموقف يذكرنا بما حدث للمشركين يوم أحد فقد انكسرت قريش والأحبابيش ووقعت ألوية الجيش وكل من يتقدم لحمله يقتل وظل اللواء صريع حتى تقدمت إحدى نساء الأحبابيش، وتدعى عمرة الحارثية فحملت اللواء، ولما شاهدته قريش والأحبابيش بعد هروبهم عادوا مرة أخرى للمعركة وانتصروا على المسلمين، وقد سجل الصحابي حسان بن ثابت موقف الحارثية ورفعها اللواء، فقال شعراً يشير فيه أنه لولا فعل الحارثية ورفعها اللواء لأسرت قريش والأحبابيش وبيعوا في الأسواق، وهذا الشعر يقول فيه رضي الله عنه:

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب

حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسنين، الهيئة العامة لقصور الثقافة،

وبعد ذلك تم الصلح بين قريش وبنو ليث بن بكر، حتى أننا نراهم يحاربون مع قريش وبنو الدليل أحد أعضاء الأحابيش في يوم شهورة الذي أغاروا فيه على أرض بلي ولخم^(١).

موقف الأحابيش من حملة أبرهة الأشرم:-

تعتبر حملة أبرهة الحبشي واحدة من الحملات التي جسدت الأطماع الرومانية في بلاد العرب بصفة عامة والحجاز بصفة خاصة، وقد سبق التعرض للحملات الرومانية للاستيلاء على بلاد العرب.

وقد عرفت حملة أبرهة في كتب التاريخ والسير والتفسير بمسميات هي حملة الفيل، أو قصة الفيل نسبة إلي الفيل الذي جلبه الجيش الحبشي معه لهدم الكعبة ويقال أن اسم الفيل محمود^(٢)، و جدير بالذكر أن أحد الكتاب إدعى أن المقصود بالفيل هو "أفيلا" قائد حملة أبرهة وليس الفيل المعروف، وعلى ذلك يكون المقصود بأصحاب الفيل هم أصحاب القائد "أفيلا"^(٣)، ولا شك أن هذا الإدعاء باطل وغير صحيح خاصة أنه يخالف ما ذكرته مختلف المصادر سواء كانت كتب تاريخ أو تفسير أو غيرهما، كما أن صاحب هذا الإدعاء غير متخصص في التاريخ أو

(١) ابن حبيب: السابق، ص ١٣٢.

(٢) ابن هشام: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٠.

(٣) مصطفى محمود: رحلة في أرض سبأ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م،

السيرة النبوية أو التفسير حتى نأخذ برأيه وعلى كل حال لقد خلد القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل.

أما الاسم الثاني فهو حملة أبرهة أو حملة الأشرم لهدم الكعبة، والمقصود بها أبرهة بن الصباح (أبرامبوس)^(١)، أو الأشرم لشق في حاجب وأنف وعين وشفة أبرهة أثناء نزاله مع أرباط^(٢) نائب النجاشي على اليمن، وقيل وقع عليه حجر فشرم أنفه^(٣).

و أبرهة (أبرامبوس) كان حاكماً لليمن بعد قتل أرباط نائب النجاشي على اليمن، ويرجع بداية تولي أبرهة حكم اليمن إلي اضطهاد قد تعرض له أهل نجران النصرى على يد حاكمها اليهودي يوسف ذونواس^(٤) الذى أوقع الاضطهاد بنصرى نجران وخذ لهم الأخدود وألقاهم فيه كما قص ذلك القرآن الكريم، وهذه الحادثة حقيقية لاشك فيها، وهناك شخص يدعي يوحنا الأفسى، وهو من رجال الدين النصرى دون حوالي عام ٥٨٠ من تأريخه الكنسي وثيقة تتحدث عن تعذيب نصرى نجران وقد وجه هذه الرسالة " مار شمعون " أسقف بيت أرشام المعاصر لهذه الحادثة إلي رئيس دير جبلة يصف فيها ما سمعه، وما قصه عليه شهود

(١) الحيمي: المصدر السابق ، ص ٧٤.

(٢) ابن هشام: ج ١ ص ٣٤.

(٣) ابن منظور: ج ٥ ص ٩٧.

(٤) اسمه اسار يثار، حكم اليمن بين عامي (٥١٠-٥٢٥م) وهو من العائلة الزينية، وقيل انه تسمى بيوسف بعد إعتناقه اليهودية. مصطفى محمود: رحلة في أرض سبأ، ص ١٣٣.

عيان من أهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران، وما لقوه هناك من أصناف العذاب^(١).

وقد وجه شمعون في نهاية الرسالة نداء إلى الأساقفة خاصة أساقفة الروم والإسكندرية ليعلمهم بهذه الفاجعة، كما طالب بطريق الإسكندرية التوسط لدى نجاشي الحبشة لمساعدة نصارى اليمن كما ناشد أخبار "ضرية" للتأثير على ملك حمير للكف عن اضطهاد النصارى^(٢)، وتذكر المصادر الإسلامية أن شخصاً يدعى دوس ذو ثعلبان فر من اضطهاد ذي نواس، ولجأ إلى قيصر الروم يستنصره على ذي نواس وأخبره بما فعل، فقال له قيصر: "بعدت بلادك من بلادنا وأنه لا نقدر أن نرسل إليها الجنود"، فكتب كتاباً إلى النجاشي النصراني يطلب منه نصرة أهل دينه والثأر لقتلاهم، فلما قرأ النجاشي الكتاب أرسل مع ذي ثعلبان سبعين ألفاً من الجيش بقيادة أرباط لقتال ذي نواس^(٣)، وانتهى الأمر بهزيمة الحميريين وغرق ذي نواس في البحر^(٤).

وهناك عدد من المخطوطات الحبشية في المتحف البريطاني تتحدث عن هذه الحادثة، بالإضافة إلى موارد إغريقية وحبشية

(١) جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام المجمع العلمي العراق ١٩٥٣م ج٣ ص١٨٥.

(٢) جواد على: المرجع السابق، ج٣ ص١٨٦.

(٣) الطبري: ج١ ص٤٣٣.

(٤) الهمداني: الإكليل، تحقيق/محمد الأكوغ، مكتبة الرشاد، اليمن ٢٠٠٨، ج٨ ص٢٣١.

أخسرى تقول إن الحبش كانوا موجودين في أرض حمير قبل تعذيب ذو نواس (فنجاس في بعض المخطوطات الحبشية) لنصارى نجران الحميرية بعدة سنوات، وأنهم انتصروا على ذي نواس قبل قيام ذي نواس بتعذيب نصارى حمير بسنين، ولما هزم ذي نواس تقهقر إلى الجبال للإحتماء بها، وإنسحب بعد ذلك، أما الحبش فجردوا جيشاً لحماية النصارى والدفاع عنهم، كما تركوا هناك نائباً للملك، ولكن لما مات نائب الملك وقائد الجيش، انتهز ذو نواس وأتباعه الفرصة فأغاروا على الجيش، وتمكن ذو نواس منهم ثم صب عذابه على يد من وجد في بلاده من النصارى واضطهدهم، وأغار على نجران وحاصرها مدة طويلة بلغت سبعة أشهر^(١) قتل خلالها في الأخدود على قول أحد الروايات ما يقرب من عشرين ألفاً^(٢)، وإن كان هذا العدد على ما يبدو مبالغ فيه، خاصة أن بعض الوثائق السريانية تذكر أن عدد شهداء نجران ٤٠٠٠ شهيد على أكثر تقدير^(٣).

وهناك سبب آخر يرى البعض أنه هو السبب الحقيقي المباشر لغزو الحبش اليمن، وهو أن الروم كانوا يضطهدون اليهود الذين في أرضهم، فأمر ملك حمير بقتل التجار الروم الموجودين باليمن

(١) جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣ ص١٨٨.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق، ج٢ ص١٧٢.

(٣) اغناطيوس يعقوب: الشهداء الحميريون، دمشق، ١٩٦٦م، ص١١٨-١١٩.

ونهب أموالهم انتقاماً من الروم، فتجنب التجار الروم الذهب إلي اليمن أو إلي الحبشة أو المناطق القريبة من حمير، فتأثرت التجارة مع الحبشة، ولما تضرر الأحباش إقتصادياً حاول النجاشي التفاهم مع مللك حمير إلا أن ملك حمير رفض عروض النجاشي ف وقعت الحرب بينهم^(١)، وإنتهى الأمر بغزو الأحباش لليمن وقتل ذو نواس فقيل أنه أقحم فرسه في البحر فغرق^(٢)، إلا أن الروايات الحبشية والإغريقية تقول أنه وقع في يد الأحباش فقتلوه^(٣)، وذلك عام ٥٢٤ م، وبموت ذو نواس وهزيمة الحميريين دخلت اليمن تحت السيطرة الحبشية، وتم تعيين رجل نصراني من نجران يدعى اسيميفايوس (Esimiphaeus) ملكاً على اليمن مقابل دفعة جزية سنوية للنجاشي^(٤)، إلا أن من تبقى من الجنود الحبش ثاروا عليه وحاصروه في إحدى القلاع، وعينوا مكانه عبداً نصرانياً يدعي إبراهيم (إبراهام، أبرهة) كان مملوكاً في مدينة أدوليس Adulis لتاجر يوناني، فأرسل النجاشي قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتأديب من انضم إليه، إلا أن الحملة لما وصلت اليمن انضمت إلى الثوار، وقتلت قائد الحملة، وهو أحد أقرباء النجاشي، فقرر النجاشي إرسال حملة أخرى، لكنها لم تتمكن من قمع الثوار،

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ج٣ ص١٨٩ .

(٢) ابن قتيبة: المعارف ، ص٣٥٢ : الهمداني: المصدر السابق ، ج٨ ص٢٣١ .

(٣) جواد علي: المرجع السابق ج٣ ص١٩١ .

(٤) جواد علي: المرجع السابق ، ج٣ ص١٩١ .

عندئذ قرر النجاشي مصالحة أبراهام (أبرهة)، وأقره على حكم اليمن مقابل دفع جزية سنوية للنجاشي على أن يعترف بأنه نائب عن الملك على اليمن^(١).

أما الروايات الإسلامية فتذكر أنه بعد هزيمة الحميريين وقتل ذي نواس ثم تعيين أرياط حاكماً على اليمن إلا أنه حدث نزاع بينه وبين إبراهيم (أبرهة) أحد قواد الجيش الحبشي الذين شاركوا في حملة الحبشة على اليمن، فانقسم الأحباش فرقتين، فرقة تناصر أرياط وفرقة تناصر أبرهة، فحدث في عام ٥٣١ ميلادية أن نشبت الحرب بينهما فقرر أن يتبارزا هم الاثنان، ولا يقحما أتباعهم في الحرب، ومن يقتل صاحبه فهو أحق بالأمر، وتبارز الاثنان وكانت الغلبة لأرياط وإستطاع أن يضرب أبرهة بحربته على يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشمرت حاجبه وأنفه وعينه وشفته^(٢)، وكان يقف وراء أرياط شخص يدعي "عتودة" من أنصار أبرهة فحمل على أرياط فقتله، فانصرف جند أرياط إلى أبرهة فأصبح أبرهة الحاكم الوحيد للأحباش باليمن^(٣).

(١) جواد على: المرجع السابق، ج ٣ ص ١٩٢

(٢) ابن هشام: ج ١ ص ٣٤؛ الحيمي: سيرة الحبشة، ص ٦٤.

(٣) ابن هشام: ج ١ ص ٣٤.

ورفض أبرهة دفع الجزية للنجاشي الذي قيل إن اسمه "بيتا إسرائيل" والذي اعترف بسيطرة أبرهة على اليمن^(١)، وعلى حسب الروايات الإسلامية أن ذلك تم بعد أن أرضي أبرهة النجاشي، وأرسل إليه بعض شعر رأسه وجفنة من رمال اليمن ليوفي النجاشي بنذره الذي نذره بجز ناصية أبرهة ووطء اليمن بقدمه^(٢).

وبعد ذلك أخذ أبرهة على العمل على تقوية نفوذه السياسي والإقتصادي والديني خارج نطاق دولته، وكانت حملته على مكة أحد هذه المحاولات لتوسيع نفوذه السياسي والاقتصادي والديني، ولن تتوسع الدراسة في ذكر تفاصيل حملة أبرهة على مكة بل ستقتصر على ذكر الأسباب التي دفعته للقيام بحملته هذه، وموقف الأحابيش من هذه الحملة ثم ذكر نهاية هذه الحملة وعرض آراء البعض في حقيقة هذه الحادثة.

أما عن سبب حملة أبرهة لهدم الكعبة، فهناك عدة أسباب وليس سبباً واحداً كما يعتقد ويظن كثير من الناس، وهذه الأسباب تتمثل في:-

١- بعد أن استولى أبرهة على حكم اليمن منفرداً وصالح النجاشي بنى كنيسة عظيمة تسمى القليس فأرسل إلى النجاشي

(١) الحيمي: سيرة الحبشة، ص ٦٤

(٢) الطبري: ج ١ ص ٤٣٥.

يقول له: "إني بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنتَه حتى أصرف إليها حاج العرب"^(١)، فلما سمع العرب بذلك أرسل القلمس رجلان من النساء من بني كنانة^(٢) فامرهما أن يذهبا إلى ذلك البيت الذي بناه أبرهة بصنعاء فيحدثا فيه^(٣)، وقيل أن رجلاً من النساء قد سمع مقولة أبرهة بهمه صرف الحج إلى القليس فقال أنا أكفيكم ذلك ثم سار ذلك الرجل حتى ورد على أبرهة، فقال إني وافد قومي إليك على أن يحجوا لهذه البيعة، فسر ذلك أبرهة وأكرم الكناني واستغل الكناني إنشغال الحبش بعيد لهم بملاعبهم وشربهم، فأقبل إلي القليس وأحدث فيها^(٤)، وفي رواية ابن إسحاق خرى فيها^(٥)، ورواية أخرى قعد فيها^(٦)، والمعاني كلها صحيحة، ثم قام الكناني بتلطيف كل زاوية بالكنيسة ولوثها ثم كثر راجعاً إلى مكة، فلما دخل أبرهة كنيسة وجدها على ذلك الحال، ولما لم يجد أحد علم أن الكناني

(١) الطبري: ج ١ ص ٤٣٧ ، عزالدين الرسعني: رموز الكنوز ، تحقيق /عبد الملك ابن دهيش ، مكتبة الأسد ، مكة ٢٠٠٨ ، ج ٨ ص ٧٣٢ .

(٢) في رواية ابن إسحاق أن الذي ذهب إلى الكنيسة رجلا من الحمس من بني ملكان بن كنانة. سيرة ابن إسحاق: ص ٣٨ والصواب _والله أعلم_ من النساء.

(٣) الأزرقى: ج ١ ص ١٦٤ .

(٤) الصحارى: الأنساب ، ص ١٣٩ .

(٥) ابن إسحاق: ص ٣٨ .

(٦) ابن هشام: ج ١ ص ٣٦ ؛ ابن كثير: ج ٢ ص ١٧٤ .

صاحب ذلك^(١)، وقيل أنه أخبر أن الذي فعل ذلك رجلا من العرب، من أهل البيت الذي يحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك أصرف إليها حج العرب^(٢) عندئذ قرر أبرهة السير لهدم الكعبة و جهز الجيش لذلك، ويقال أنه أرسل إلى النجاشي يخبره بما حدث وطلب منه أن يمدّه بجيش فأمدّه بجيش عظيم^(٣) بلغ في تقدير بعض العلماء أكثر من مائة ألف^(٤)، وهو عدد لاشك مبالغ فيه جداً، ثم سار أبرهة في طريقه لهدم الكعبة.

٢- هناك سبب آخر يقول أن فئة من قريش تجارا كانوا بالحبيشة وكانوا أقاموا على ساحل البحر بالقرب من بيعة للنصارى هناك يسمونها الهيكل، وقد قام هؤلاء التجار بإشعال نار لشوي الطعام فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف، فهاجت ريح فاضطرم الهيكل نارا، فانطلق الصريرخ إلى النجاشي فثار غضباً لحرق البيعة، فبعث إلى أبرهة يأمره يهدم الكعبة^(٥).

(١) الصحاري: السابق، ص ١٣٩.

(٢) ابن هشام: ج ١ ص ٣٦.

(٣) الصحاري: ص ١٣٩.

(٤) البغوي: معالم التنزيل، تحقيق/محمد النمر، دار طيبة، الرياض ١٤١٢ هـ، ج ٨ ص ٥٣٩،

الغازي المكي: إفادة الأنام، تحقيق/عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدى مكة ١٤٣٠ هـ

، ج ١ ص ١٩٣.

(٥) اللقاني: تبين عدة من تسمى بمحمد، مخطوط ورقة ١٢.

٣- هناك سبب آخر يقول إن أبرهة بعد إن بنى القليس كان قد توج شخصاً يدعي محمد بن خُزاعي، وهو أحد الذين تسموا باسم في الجاهلية^(١)، وقد أمره على مضر وأمره بأن يسير إلي الناس يدعوهم إلي الحج في القليس، فلما وصل محمد خزاعي إلي نهاية من أرض بني كناية بعثوا إليه رجلاً من هذيل يدعى عروة بن حياض الملاصي فرماه بسهم فقتله، وكان مع محمد بن خزاعي أخ يدعى قيس، فهرب حين قتل أخوه فلحق بأبرهة فأخبره بقتله، فاغتاظ أبرهة وحلف ليغزو بني كنانة وليهدم البيت ولا شك إن صح هذا الخبر فإن سبب غيظ أبرهة ليس قتل محمد خزاعي فقط بل لأن العرب قد تحدوه ورفضوا ما عزم عليه وقتلوا نائبه.

٤- وهناك سبب آخر لحملة أبرهة يقول أن ابن بنت أبرهة يدعى أكشوم خرج حاجاً، فلما انصرف من مكة نزل بكنيسه بنجران فعدا عليها أناس من أهل مكة فأخذوا ما فيها من الحلبي، وأخذوا متاع أكشوم، فانصرف إلي جده الحبشي مغضباً، فلما ذكر له ما لقي بمكة من أهلها أقسم أبرهة أن يهدم البيت^(٢)، وقد اعترض د/جواد علي على هذا السبب قائلاً أن هذا غير معقول لأن أكشوم رجل نصراني، والنصراني لا يحج إلى مكة التي تعتبر

(١) الطبري: ج ١ ص ٤٣٧.

(٢) أبو نعيم الأصفهاني: دلائل النبوة، دار المعرفة بيروت ١٩٧٧م، ص ١٠١.

لحجة الوثنيين^(١)، كما أن الكنيسة التي أسسها أبرهة خاصة بالنصارى، والغالبية من العرب خاصة المكيين وثنيين فكيف يحجون إلى القليس الخاصة بالنصارى وهم وثيون، كما أن حج أكشوم إلي مكة مستبعد لأنه نصراني على دين جده^(٢)، وهناك سبب آخر يرد هذه الرواية وهو أن أبرهة لما بلغه ما حدث لحفيده وكنيسة نجران أرسل جيشاً بقيادة رجلاً من أصحابه يدعي شمر بن مضعود^(٣) وهذا يخالف الرأي القائل بأن الذى سار لهدم الكعبة هو أبرهة نفسه^(٤).

٥- وهناك سبباً آخر يرى أن التجارة هي التي دفعت أبرهة للقيام بحملته هذه، فقد كانت الحبشة مصدراً مهماً لتجارة البخور وريش النعام والعاج والجلود والتوابل، فكانت قريش تحصل منها على هذه السلع الهامة ليبيعها فى الأسواق، وفى المقابل كانت قريش تحمل إلى الحبشة بضائع من الجزيرة العربية، ولكن لما إستولى الأحباش على اليمن لم تستطع اليمن أن تقوم بدور كبير فى التجارة التي استأثر التجار المكيون بنقلها عندما أصبحوا الوسطاء المسيطرين على قوافل التجارة الخارجية، وقد فكر حاكم اليمن الحبشي أبرهة أن ينافس مكة فأقام كنيسة القليس بصنعاء

(١) جواد علي: المفصل، ج ٣ ص ٥١١.

(٢) جواد علي: المرجع السابق، ج ٣ ص ٥١١.

(٣) أبو نعيم: دلائل النبوة، ص ١٠١.

(٤) ابن إسحاق: السابق، ص ٣٨.

ليجلب إليها العرب للحج والمتاجرة في اليمن^(١) وليس هناك تعارض بين ذلك السبب والسبب القائل أن أبرهة قرر هدم الكعبة لصرف الناس إلى الحج بالقيس لأن أبرهة قام بشن حملته لتدمير البيت وإجبار الناس على الحج والمتاجرة في الأسواق تحت نفوذه وضم أسواق مكة وإيصال الحبشة بحليفتها بيزنطة بواسطة الطريق البري التي كانت تسيطر على بلاد الشام والتي كانت وراء كل التحركات الحبشية في بلاد اليمن^(٢) ولا يخفى علينا طلب قيصر من النجاشي أن يغزو اليمن بحجة تعذيب نصارى نجران، ومن الممكن القول أن طلب قيصر هذا كان تمهيدا لخطوة تالية بل خطوات لضم بلاد العرب مدينة تلو الأخرى، كيف لا والرومان والبيزنطية فشلوا مرارا في الاستيلاء على بلاد العرب كما سبق توضيح ذلك، وهناك مصادر تقول أن هرقل قدهم بغزو من اليمن في إطار أحداث تعذيب نصارى نجران إلا أنه لم يلجا إلى طلب ذلك من النجاشي إلا بعد أن نصحه بطارفته بذلك^(٣)، كما أن هناك مصدراً آخر يقول أن قيصر قد أرسل رسولا إلى هاشم بن عبد مناف ليتزوج من ابنته إلا أن هاشم أبي^(٤).

(١) زنوية نادي مرسى: نشاط مكة التجاري قبل الإسلام، ندوة اتحاد المؤرخين ٢٠٠٠م، ص ٧٨.

(٢) الطاهر ذراع: علاقة مكة التجارية بالبلاد المجاورة، ندوة اتحاد والمؤرخين ٢٠٠٠م، ص ٢٧٥.

(٣) ابن إسحاق: المصدر السابق، ص ٣٥.

(٤) الشامي: المصدر السابق، ج ١ ص ٣١٩.

وفى النهاية يمكن القول أنه لا مانع من اجتماع الأسباب السابق ذكرها لأن تكون حافزا لأبرهة لهدم الكعبة لتحقيق مكاسب دينية وإقتصادية وسياسية، وليس ببعيد علينا الأسباب السياسية والإقتصادية والدينية التي دفعت نصارى أوروبا فى العصور الوسطى بالقيام بحملتهم البربرية على المشرق الإسلامى وهو ما عرف فى التاريخ باسم الحملات الصليبية، حيث تضافرت هذه الأسباب معاً ولأجلها قام الصليبيون بحملتهم.

بعد أن قام أبرهة بتجهيز نفسه وجيشه خرج على رأس جيشه مصطحباً معه فيله محموداً، وقيل كان معه اثنا عشر فيلاً غيره^(١) أى يكون عدد الفيلة ثلاثة عشر فيلاً بما فيهم محمود، وقيل كانوا ثمانية عشر، وقيل كان معه ألف فيل^(٢).

ومن الراجح أن الصواب فى عدد الفيلة التى كانت مع أبرهة هو فيلاً واحداً لا غير لأن الفيل محمود لما برك مكانه^(٣) ولم يتوجه إلى هدم الكعبة أخذوا يضربونه ويضعوا فى رأسه الطبرزين ويدخلون المحاجن فى جسمه فجرحوه دون حراك، وإذا وجهوه

(١) القاسى: شفاء الغرام، ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) القاسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٥٢.

(٣) يقال أن الفيل لا يبرك كما يبرك الجمال، وإنما الفيل سقط إلى الأرض ولم يبرك، ويقال أن هناك نوعاً من الفيلة يبرك كما يبرك الجمال فمن المحتمل أن يكون هذا الفيل من النوع الذى

يبرك، ابن كثير: ج ٢ ص ١٧٦.

إلى أى جهة غير مكة جرى وإذا وجهوه للكعبة ظل مكانه وبرك^(١) فلو كان هناك فيله غير محمود لاستعانوا به عندما فشلوا فى توجيه الفيل محمود لهدم الكعبة، فلو قال قائل أن هذا الفيل هو كبيرهم، لحاول على الأقل الجيش أن يستخدم أى فيل آخر بعد فشل محاولاتهم مع الفيل محمود، ولم يقل أى شخص أنهم استعانوا بأي فيل آخر لهدم الكعبة، كما أن سورة الفيل التي سجلت هذه القصة اسمها الفيل وليست الفيلة، ويروى أن السيدة عائشة رضي الله عنها ذكرت أنها رأت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس^(٢)

وعلى كل حال بعد أن عد أبرهة العدة وهو في طريقه لمكة واجهته قوة من اليمن بقيادة شخص يدعى ذو نفر، وكان صديقاً لعبد المطلب إلا أن أبرهة هزمه وأخذه أسيراً^(٣)، وأصطحبه معه إلى المغمس فى طريقه إلى مكة، وكما سبق القول لن نخوض فى تفاصيل سير أبرهة حتى وصوله إلى القرب من مكة، ولكن ما يهمنا هنا هو الخبر الذى يقول أن أبرهة لما نزل المغمس بعث رجلاً يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم منهم مائتا بعير

(١) ابن هشام: ج ١ ص ٤٠.

(٢) ابن هشام: ج ١ ص ٤٣؛ الأزرقى: ج ١ ص ١٧١.

(٣) الهمداني: ج ١٠ ص ٣٤.

لعبدالمطلب^(١) ومن المعلوم أنه كان يسكن تهامة قبائل خزاعة وكنانة خاصة البطون والعشائر التي تنتمي إلى الأحابيش والتي إستولى عليها جنود أبرهة على أموال لخزاعه والأحابيش^(٢)، ولما حدث ذلك ذهب عبد المطلب إلي أبرهة لرد بغيره، ويقال أنه ذهب إلى أبرهة يعمر بن نفثة الديلي سيد بني كنانة وهو من الأحابيش، ومعه سيد هذيل خويلد بن وائله الهذلي^(٣)، وقد عرضا على أبرهة أن يرجع عن هدم الكعبة في مقابل أن يعطياه ثلث أموال أهل تهامة، إلا أن أبرهة رفض^(٤)، وأمر برد أموال عبد المطلب، لكن من الملاحظ أن عبد المطلب لم يحاول أن يثني أبرهة عن فعلته التي ينوي القيام بها، وقال لأبرهة عندما ذهب ليطالبه برد إبله "إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه"^(٥)، وقد علل البعض عدم محاولة عبد المطلب بمحاربة أبرهة أن عبد المطلب كان يوقن من قرارة نفسه أن قريشا قبيلة تجارة لا قبيلة حرب فأمر قريشاً باللجوء إلى شعاب مكة، كما كان يدرك أن حرارة الصحراء ومصاعب الانتقال من اليمن إلى مكة كفيلان بهزيمة الأحباش^(٦) كما أن عبد المطلب شن على أبرهة حرباً

(١) ابن هشام: ج ١ ص ٣٨.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٣) الأزرقى: ج ١ ص ١٦٧.

(٤) ابن هشام: ج ١ ص ٣٩.

(٥) المصدر السابق، ج ١ ص ٣٩.

(٦) خليل عبد الكريم: قريش من القبيلة إلي الدولة المركزية، ص ٨٥.

نفسية عندما قال لأبرهة أن للبيت ربا يحميه، ويبدو أن هذه الكلمة أثارت أبرهة حتى أنه قال لعبد المطلب بعد أن أعلمه أن للبيت رباً سيمنعه "ما كان يمتنع مني"^(١) وهناك مصادر تقول أن الأحابيش قد هموا بقتال أبرهة وجنوده، ولا يستبعد ذلك خاصة أن أبرهة قد استولى على أموال لهم بالإضافة إلي قبضه على شخص يدعى كلثوم بن عميس من بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، فأخذه الأشرم وكبله عنده^(٢)، وبني عامر هؤلاء أخوة بني الحارث وبني الدليل الأحابيش الذين حاربوا في صفوف الأحابيش بعد فتح مكة أثناء مواجهتهم لخالد بن الوليد رضي الله عنه، ولكن طلب عبد المطلب من قريش أن يلجئوا إلى شعاب مكة بعيداً عن البيت وهجمات الجيش القادمة، ومفاوضته لأبرهة ليرد عليه أمواله التي أخذها جنوده ولم يطلب من قريش الاستعداد للحرب، كل ذلك أثار في عزم الأحابيش وعلموا أنهم لا طاقة لهم بجيش أبرهة وحدهم.

وعلى كل حال لما رفض أبرهة عرض سيد الأحابيش يعمر النفائي وسيد هذيل خويلد بن وائلة بأن يعطياه ثلث أموال تهامة مقابل عدم هدم البيت^(٣)، تقدم بكل غرور لتنفيذ مشروعه إلا أن

(١) ابن هشام: ج ١ ص ٣٩.

(٢) ابن حبيب: المنموق، ص ٧١.

(٣) ابن هشام: ج ١ ص ٣٩.

الله سلط عليهم الطير الأبابل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول، وقد اختلف العلماء في وصف هذه الحجارة، ولكن يكفينا قول الصحابي نوفل بن معاوية الديلي وهو من سادات بني الدئل الذين كانوا المكونين الأساسيين للأحابيش، وقد عاش رضي الله عنه مائه وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام^(١): "رأيت الحصاة التي رمى بها أصحاب الفيل، حصى مثل الحمص وأكبر من العدس حمر مختمة"^(٢)، ومن المحتمل أن هذا الختم يكون هو أسماء من تناله هذه الحجارة، ولم تصب الحجارة كل جيش أبرهة بل جزء من الجيش فمن تطوله الحجارة كانت تدخل من رأسه وتخرج من دبره^(٣)، وهناك أدلة تدعم القول بأن جيش أبرهة لم يصاب كله بالحجارة فهاهما قائد الفيل وسائسه ظلا على قيد الحياة حتى رأتهم السيدة عائشة رضي الله عنها كما أن أبرهة لم يكن من الذين ماتوا في مكة، كما استعمل سيف بن ذي يزن الحميري بعض هؤلاء الجيش لخدمته بعد أن إستولى على اليمن ويقال إن باقي الجنود الذين لم تضربهم الحجارة هاموا على وجوههم بحثا عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن^(٤)، وقد أخذت بعض القبائل تأسر

(١) ابن الضياء: المصدر السابق ، ص ٩٤.

(٢) أبو نعيم: المصدر السابق ، ص ١٠٧.

(٣) أبو نعيم: المصدر السابق ، ص ١٠٧.

(٤) ابن كثير: ج ٢ ص ١٧٦.

وتقتل فيهم، وكان أبرهة قد أسر بعض أبناء القبائل من كنانة وهذيل أثناء حملته، ففي أثناء عودته استبدل هؤلاء بالأسرى الذين قبض عليهم الهذليين، ويقال إن هؤلاء الأسرى كانوا من كندة وحمير والحبش^(١) كانوا في جيش أبرهة، وقد يطعن البعض في هذا الأمر لأنه من الشائع أن أبرهة سار في طريقه إلي اليمن وأنامله تتساقط أنملة أنملة حتى وصل إلي بلاده فانصدع صدره عن قلبه^(٢)، فتكون وفاة أبرهة ببلاده آية من آيات الله، تبين قدرة الله عز وجل في انتقامه من الذين يتحدون قدرة الله، ولا يخفى علينا إغراق الله لفرعون لما تجبر في الأرض كأبرهة ومن على شاكلتهم وتنجية الله لبدن فرعون ليكون لمن خلفه آية، قال تعالى: (فالיום ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية)^(٣) فيإصابة أبرهة بالمرض بمكة، وموته ميتة شنيعة ببلاده لدليل على قدرة الله عز وجل في الانتقام من كل متجبر

وعلى كل حال يمكن القول أنه لا تعارض بين الخبرين لأن أبرهة قد أصابه المرض ويحتمل أنه الطاعون، فهناك فتره بين الإصابة بالمرض وظهور أعراضه، فعندما همّ بالفرار كانت حالته لم تسوء كثيراً وفي أثناء تلك الفترة يكون إستبدال الأسرى من

(١) أبي سعيد السكري: شرح أشعار الهذليين، تحقيق / عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار

التراث، القاهرة، د.ت، ج ١ ص ٣٨٩

(٢) ابن كثير: ج ٢ ص ١٧٧.

(٣) سورة يونس: ٩٢.

الطرفين، وكان الذي فاوض أبرهة صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن هذيل فافتدى الأسرى الذين عندهم بأسراء بني كنانة الذين أسرهم أبرهة من أهل نجد حين أقبل يريد الحرم^(١).

ثم أخذ المرض يشتد بأبرهة ويضعف من مقاومته خاصة أنه كان كبيراً في السن لا يقل عمره على أقل تقدير عن ستين أو سبعين سنة، فما لبث أن توفى ببلاده.

وهكذا فشلت حملة أبرهة، وفيها يتبين أن الأحابيش لم يكونوا بعيدين عن مجريات هذه الأحداث، بل حاولوا مفاوضة أبرهة للجلاء عن بلدتهم مرة بالسلم، ومرة بأن يحاربوه، وقد يكون الذي منعهم من المحاربة بالفعل هو إحجام عبد المطلب عن القتال، بالإضافة إلي أنهم كانوا في الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال، وكان قدوم أبرهة في شهر المحرم^(٢).

(١) أبي سعيد السكري: شرح أشعار الهذليين، ج ١ ص ٣٨٩.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢ ص ٨٧.

النسئ والقتال في الأشهر الحرم: -

إنه لمن الضروري التعرض لنظام النسئ الذي كان موجوداً قبل الإسلام، والذي كان العرب يخضعونه لخدمة حروبهم، فكانوا يحلون ويحرمون شهوراً بغرض حماية حروبهم، ومن تلك الحروب حرب الفجار التي سميت بذلك لأنها قامت في الأشهر الحرم التي كانت تمتنع فيها قبائل الجزيرة العربية عن الغزو والسلب^(١) وكذلك الفجور الذي أحدثه العرب في حروبهم في تلك الشهور من قتل وترويع الأمنين القاصدين بيت الله الحرام.

والنسئ: بمعنى التأخير، ويكون في العمر والدين، وقوله ينسأ أي يؤخر ومنه الحديث: صلة الرحم مثراً في المال منسأة في الأثر^(٢).

ويقال: نسأت الشيء نسأً، وأنسأته أنسأه إذا أخرته^(٣) وهو ما كان يفعله العرب من تأخير لشهورهم.

والنسئ: شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية، فنهى الله عز وجل عنه واعتبره كفر، وذلك في قوله عز وجل "إنما النسئ زيادة في الكفر".

(١) إميل درمنغم: حياة محمد، ص ٣٥.

(٢) ابن منظور: المصدر السابق، ج ٨ ص ٥٢٨.

(٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: تحقيق محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ج ٥

والنسيء: المصدر، ويكون المنسوء، مثل قتيل ومقتول، والنسيء فعل بمعنى مفعول من قولك نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته، ثم يحول منسوء إلى نسيء كما يحول مقتول إلى قتيل^(١).

والناسيء: الرجل المؤخر الأمور غير المقدم، وكذلك النساء^(٢)، ورجل ناسيء وقوم نساء مثل فاسق وفسقة^(٣).

هذا هو التعريف اللغوي للنسيء، أما عن بداية ظهور النسيء فى التاريخ فإن المصريين القدماء أقدم من عرف نظام النسيء واخترعوه لكي يعرضوا فرق اليوم فى التقويم، وعملوا لها أسطورة وهى أن الآلهة الخمسة الأساسية - كما فى إعتقادهم - (إيزيس وأوزوريس وست ونفتيس وحورس) ولدوا خارج أيام السنة أى فى خمس أيام نسيء فى السنة المصرية القديمة ويسمونه باسم الشهر الصغير، إلا أن نظام النسيء عند الفراعنة كان لخدمة الزراعة القائمة على مياه الفيضان.

أما العرب فقد عرفوا النسيء أو الكبس من اليهود المجاورين لهم^(٤)، ولا يستبعد أن يكون اليهود أو العبرانيين قد أخذوا نظام النسيء أو الكبس من المصريين ومنه نقلوه إلى العرب فى شبه الجزيرة العربية، وكان النسيء عند اليهود يختلف فى سببه عن النسيء عند العرب، فإن

(١) ابن منظور: المصدر السابق، ج ٨ ص ٢٨.

(٢) الخليل بن أحمد: العين: تحقيق د/ مهدي المخزومي، ج ٧ ص ٣٠٦.

(٣) ابن منظور: المصدر السابق، ج ٨ ص ٥٢٨.

(٤) جواد على: المرجع السابق، ج ٨ ص ٤٩٠.

مقدار السنة عند العرب والعبرانيين (اليهود)، وكذلك اليونانيين اثناعشر شهراً قمرية إلا أن اليهود كانوا يزيدون في كل ثلاث سنين من سنينهم شهراً فتكون الثالثة من سنينهم أبداً ثلاثة عشر شهراً قمرية يسمونها الكبيسة^(١)، وكانوا يسمون هذا الشهر (فيادار) أو آذار الثاني، وبهذه الطريقة جعلوا السنة القمرية مساوية للسنة الشمسية^(٢)، وربما كانت زيادتهم لهذا الشهر في مدة سنتين لأنهم يفعلون ذلك في كل تسعة عشرة سنة تسع مرات، ويرى الباحث أن سبب النسيء عند العبرانيين إنما الغرض منه هو حفاظهم على ثبات الأزمنة فتبقى غير منتقلة عن أوقاتها من الفصول الأربعة^(٣).

أما العرب فكان عندهم شهور السنة اثنا عشر شهراً وكانوا كل ثلاث سنين يزيدون شهراً وكانوا يسمون ذلك الشهر النسيء وكانت سنة النسيء ثلاث عشر شهراً قمرية، وكانت شهورهم حينئذ غير دائرة في الأزمنة، كان لكل شهر منها زمن معلوم لا يعدوه، فهذا كان فعل الجاهلية^(٤)، وكان السبب الذي لجأ إليه العرب للعمل بالنسيء هو اختلاف الزمان والمواقيت والفرق بين السنة الشمسية والقمرية^(٥)، والقيام بغاراتهم في الأشهر الحرم، فقد كان العرب يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم

(١) ابن الجدايى: الأزمنة والأنواء، تحقيق/عزة حسن، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٤٣.

(٢) جواد على: السابق، ج ٨، ص ٤٩٢.

(٣) ابن الجدايى: الأزمنة والأنواء، ص ٤٣.

(٤) ابن الجدايى: السابق، ص ٤٣.

(٥) المسعودي: التبيين والإشراف، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩٣م، ص ٢١٧.

لا يغيرون فيها ولا يغزون، خاصة أن معاش كثير من القبائل والعشائر كانت قائمة على الغارات والغزو ونهب الحجيج كما كان يفعل بني غفار رهط الصحابي أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - لذا نرى أن العرب فعلوا النسيء لإحلال ذمتهم من حرمة محرم ولتجوير القتال فيه^(١).

ويقال أن الأشهر الحرم في الجاهلية كانت تختلف عن الأشهر الحرم في الإسلام ففي الجاهلية كانت الأشهر الحرم عشرون من ذي الحجة ثم المحرم ثم صفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر، وفي الإسلام هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب^(٢).

وكانت العرب تعظم رجباً وتسميه فضل الأسنه، وفضل الآل لأنهم كانوا ينزعون الأسنه من الحراب والرماح توطيئاً للنفوس على الكف عن المحظور في مذهبهم، وكانوا يسمونه أيضاً شهر الله الأصم لأنه كان لا يسمع فيه تداعي القبائل ولا قعقة السلاح^(٣)، ولم يكن الأنساء كل عام، بل كان يتم الإنساء سنه، ويترك سنه ليحلوا الشهور المحرمة ويحرموا الشهور التي ليست محرمة، وكان ذلك من فعل إبليس ألقاه على ألسنتهم فأوه حسناً^(٤)، وقد كان هناك نوعان من النسيء عند العرب:-

(١) جواد علي: السابق، ج٨، ص٤٨٩.

(٢) المرزوقي: الأزمنة والأمكنه، تحقيق/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

١٩٩٦م، ص٦٨.

(٣) المرزوقي: الأزمنة والأمكنه، ص٦٨.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٤٩.

الأول: تأخير شهر المحرم إلى صفر، وذلك لحاجتهم إلى شهر الغارات وطلب الثارات^(١).

والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تحريماً منهم للسنة الشمسية^(٢).

فقد كان الحج يكون في رمضان وفي ذي القعدة وفي كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة خمسة عشر يوماً، فحج أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في ذي القعدة بحكم الاستدارة، ولم يحج النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان في العام المقبل وافق الحج ذا الحجة في العشر، ووافق ذلك الأهلة^(٣).

أما عن تاريخ معرفة العرب للنسيء، فيقول د/ جواد علي: أنها كانت قبل الهجرة بمئتي سنة أخذوها عن اليهود المجاورين لهم^(٤).

وإن كان الأمر أبعد من ذلك، يسبق فترة ولاية قصي على البيت ومكة فعندما تولى قصي أمر مكة وقام بتنظيم أمورها أقر بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه^(٥)، وكانت ولاية قصي تقريباً عام ٤٤٠ ميلادية، أما عن الذين كانوا يتولون النسيء من العرب، فقبل أول من نساأ الشهور هو

(١) الفاسي: شفاء الغرام ج٢ ص ٥٠.

(٢) الفاسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٥٠.

(٣) جواد علي: المرجع السابق ج٨ ص ٤٩٣.

(٤) جواد علي: المرجع السابق ج٨ ص ٤٩٠.

(٥) حسين مؤنس: المرجع السابق ص ١٠٨.

حذيفة بن عبد بن فقيم^(١) بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة^(٢) وقيل فى كنده، وهى قبيلة ترجع فى نسبها إلى كهلان بن سبأ، وأسسوا لهم حكم خاص بهم كان أولهم حجر بن الحارث الذى ولاه حسان بن تبع على العدنانيين^(٣)، وقيل كانت أول من أنسأ الشهور بن مضر هو مالك بن كنانة، وذلك أن مالك بن كنانة نكح إلى معاوية بن ثور الكندي، وهو يومئذ فى كنده، وكانت النسأة قبل ذلك فى كنده لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر، ثم نسأ ثعلبة بن مالك ثم نسأ بعده الحارث بن مالك بن كنانة وهو القلمس، ثم نسأ بعد القلمس ابنه مرة بن القلمس ثم كانت النسأة فى بني فقيم من بني ثعلبة حتى كان آخرهم فى الإسلام أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم، وهو الذى جاء فى زمن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى الركن الأسود، فلما رأى الناس يزدحمون عليه قال: "أيها الناس أنا له جار فأخروا"؛ فخفقه عمر - رضى الله عنه - بالدرة ثم قال أيها الجلف الجافي قد أذهب الله تعالى عزك بالإسلام^(٤)، قيل أنه نسأ الشهور أربعين سنة^(٥).

(١) العسكري: الأوائل، ص ٣٦.

(٢) ابن حبيب: المحبر، ص ١٧٥. وفى المتن فهم بدل فقيم وهو خطأ والصحيح فقيم.

(٣) ابن العربي الجزائري: محادثة أهل الأدب، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٥١ م ص ٥١

(٤) الأزرقى: السابق ج ١ ص؛ الفاسي: تحفة الكرام، مخطوط ورقة ١٨٤ ب؛ الفاسي: شفاء

الغرام، ج ٢ ص ٤٨.

(٥) ابن الكلبي: جمهرة النسب ص ١٦٤؛ البلاذري: ج ١ ص ١٤١.

وقيل أن أول من نساأ الشهور من بني فقيم هو قلع بن حذيفة بن عبد بن فقيم ، فقد نساأ أربع سنين^(١)، وقيل سبع سنين^(٢)، ثم نساأ بعده أميه بن عوف بن قلع إحدى عشرة سنة^(٣)، وقيل أول من نساأ هو عمرو بن لحي الخزاعي^(٤)، وقيل بل شخص يدعى نعيم بن ثعلبة^(٥) لكن السهيلي يقول أن هذا غير معروف^(٦)، وقيل أول من أنساأ عدى بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة^(٧)، ومن المحتمل أن يكون أول من أنساأ الشهور من العرب هو حذيفة بن عبد بن فقيم وهو الذى تلقب بلقب القلمس، وأصبح من يتولى الأنساء يدعون بالقلامسة، والقلامس، واحدهم قلمس، وهو الرئيس المعظم^(٨)، وقد تولى القلمسة بعد حذيفة ابنه قلع ابن حذيفة ثم عباد بن قلع ثم قلع بن عباد بن قلع ثم أميه بن قلع ثم عوف بن أميه ثم جنادة بن أميه بن عوف بن قلع^(٩) الذى

(١) ابن الكلبي: السابق ، ص ١٤٦ .

(٢) البلاذري: ج ١١ ص ١٤١ .

(٣) ابن الكلبي: ص ١٦٤ ؛ البلاذري ج ١١ ص ١٤١ .

(٤) الألويسي: بلوغ الأرب ، ج ٣ ص ٧١ .

(٥) القالي: الأمالي ج ١ ص ٤ ؛ الجراعي: الأوائل ، تحقيق: عادل الفريحات، دار الإيمان ، ط ١

١٩٨٨ م .

(٦) السهيلي: الروض الأنف، ج ١ ص ١١٤ .

(٧) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢ ص ٤٩ .

(٨) البلاذري: المصدر السابق ، ج ١١ ص ١٤٢ .

(٩) البلاذري: ج ١١ ص ١٤٢ .

تولى وحده إنساء الشهور أربعين سنة^(١)، وذلك حتى جاء الإسلام وحرم النسيء.

أما عن كيفية الإنساء، إذا كان الغرض من الإنساء ألا يحلوا المحرم قام القلمس بفناء الكعبة يوم الصدور من مني فيقول "أيها الناس، لا تحلوا حرما تكم وعظموا شعائركم، فإني أجاب ولا أعاب لقول قلته"^(٢)، فهناك يحرمون المحرم ذلك العام، وكان العرب الجاهليين يسمون المحرم: صفر الأول، وصفر: صفر الآخر ويقولون: صفران وشهرا ربيع وجماديان ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة، فكان ينسأ الإنساء سنة، ويترك سنة فيحلوا الشهور المحرمة ويحرموا الشهور التي ليست بمحرمة، فإذا كانت السنة التي ينسأ فيها يقوم ويخطب بفناء الكعبة والناس مجتمعون إليه يوم صدورهم من مني فيقول: أيها الناس إنى قد أنسأت العام صفر الأول: يعني المحرم، فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به، ويتبدئون العدة بعده^(٣).

لذا نرى أن القلامسة عندما تعتدي طيء وخثعم على العرب خاصة فى الأشهر الحرم أو موسم الحج يقوم القلمس قائلاً:-

(١) البلاذري: ج ١١ ص ١٤١؛ ابن الكلبي: ص ١٦٤.

(٢) الفاسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٩.

(٣) العصامي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٦٥.

" لا أجا ب ولا أعا ب، ولا يرد ما قضيت به، وإني قد أحللت دماء المحلين من طيء وخثعم فاقتلوهم حيث وجدتموهم إذا عرضوا لكم"^(١).

ولعل من الأمثلة على ذلك أن العرب إذا حجت قلدت الإبل النعال وألبستها الجلال فلا يعرض لها أحج إلا خثعم ، فقال بعض الشعراء:-

وخشيف ما خشيف تلکم	وهممنا بخشيف كل هم
تلك شهران وتلكم ناهش	حلل الله إذ أهم ثم عم
غارة قد شنها فرسانهم	حرم الشهر وفي غير الحرم

ولقي شخص يدعى أنساً بن مدرك الخثعمي شخص يدعى عبد الله بن الحارث الهمذاني فسلبه، فقال:-

وما رحلت من سر وحمير ناقت	ليحجبها عن دون بيتك حاجب
تعلم ملك الله أن ابن مدرك	لأمثالها إن لم تنكله آيب
أرى أنساً قد صدنا بسفاهة	عن البيت إذ أعيت عليه المكاسب ^(٢)

وعلى كل حال ظل النسيء يعمل به حتى جاء الإسلام وفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فوجه أبا بكر في السنة التاسعة من الهجرة على موسم الحج، فحج بالناس وهي آخر حجة حجها المشركون، وكان الحج في تلك السنة في اليوم العاشر من ذي القعدة، وفي نفس العام نزلت

(١) البلاذري: السابق ج ١١ ص ١٤٢.

(٢) البلاذري: المصدر السابق، ج ١١ ص ١٤٣.

آيات من سورة براءة (التوبة)، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علي بن أبي طالب وأمره بقراءتها على الناس بمنى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مسلم، ومن كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة فاجله إلى مدته^(١)، وفي حجة النبي صلى الله عليه وسلم الوحيدة المعروفة بحجة الوداع كانت موافقة لشهر ذي الحجة فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، ثم قال لما فرغ من خطبته صلى الله عليه وسلم: أي يوم هذا قالوا: يوم حرام، قال: أي شهر هذا قالوا: شهر حرام، قال: أي بلد هذا قالوا: بلد حرام، فقال: إلا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اللهم هل بلغت"^(٢).

وقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم الأشهر الحرم في هذه الحجة فقال: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان"^(٣)، ومضر هو اسم لشهر رجب لأنه كانت تعظمه العرب، وتحرمه ولم يستحله من

(١) المسعودي: المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٢) المرزوقي: المصدر السابق، ص ٦٩.

(٣) المرزوقي: المصدر السابق، ص ٦٨.

العرب بما فيهم الأحابيش إلا خثعم وطيء، وصدق الله العظيم حيث قال: (إنما النسيء زيادة في الكفر)^(١)، و(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله)^(٢).

الأحابيش ودورهم في حروب الفجار:-

لقد قامت عدة حروب طاحنة في بلاد الحجاز قبل الإسلام، أشهرها تلك التي اصطلح على تسميتها باسم حرب(حروب) الفجار.

والفجار: بالكسر، وهى أيام كانت بين قريش ومن معها من كنانة وقيس عيلان وذلك فى الجاهلية^(٣).

وسميت حرب الفجار فجاراً لأنها كانت فى الأشهر الحرم، وقد أطلق المتحاربون فى هذه الحرب لفظ الفجور على أنفسهم، فلما قاتلت قريش وقيس قالوا: "فجرنا" فسميت لذلك فجاراً^(٤).

(١) التوبة: ٣٧.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) الزبيدي: تاج العروس، تحقيق/ حسن نصار، الكويت، ١٩٧٤م، ج١٣، ص ٣٠٢. فى كتب اللغة: الفجار جمع فاجر وهو المنبعث فى المعاصي والمحارم، وفجر فجوراً أى فسق، وفجر إذا كذب، وأصله الميل والفاجر: المائل، وفجر الرجل بالمرأة يفجر فجوراً وفجوراً وفجور من قوم فجر، وكذلك الأثنى بغير هاء. والفجور: الركوب إلى ما لا يحل، وحلف فلان على فجره، واشتمل على فجره، إذا ركب أمراً قبيحاً من يمين كاذبة أو زنا أو كذب، فالفجر أصله الشق ومنه أخذ فجر السكر، وهو بثقه، والفجور أصله الميل عن الحق. ابن منظور: ج٧، ص ٢٨.

(٤) الفاكهي: ج٥، ص ١٨٣، ١٨٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ج٢٢، ص ٥٨، ٧٨.

هذا ما اتفق عليه في تعريف حرب الفجار وسبب تسميتها بهذا الاسم، لكن بالرغم من ذلك وقعوا في اختلاف فيما بينهم حول تحديد عدة حروب الفجار، وهم في ذلك على أربعة أقوال:-

القول الأول: يرى أنها كانت حربين أي حرب الفجار الأولى وحرب الفجار الثانية، وقد قال بهذا الرأي بعض العلماء مثل: الفاكهي والأصفهاني^(١)، وابن واصل^(٢)، وجرجي زيدان، ومحمد جاد المولى^(٣).

القول الثاني: يرى أنها ثلاثة أيام أو حروب، ومن هؤلاء ابن رشيقي^(٤).

القول الثالث: يرى أنها أربعة حروب أو أيام، ومن أنصار هذا القول ابن حبيب^(٥)، والمسعودي^(٦)، وابن عبد ربه^(٧)، وابن كثير^(٨).

أما القول الرابع: فيرى أنها ستة أيام ومن أنصاره مغلطاي^(٩).

هذه هي أهم الآراء التي قيلت عن عدة حروب الفجار.

(١) ابن واصل: تجريد الأغاني، القسم الثاني، الجزء الأول ص ٢٢٦٠ - ٢٢٦٩.

(١) العرب قبل الإسلام: ص ٢٧١؛ أيام العرب في الجاهلية: ص ٣٢٢ - ٣٤١.

(١) ابن رشيقي: العمدة، ج ٢ ص ١٨٩.

(١) ابن حبيب: المنطق، ص ١٦٠ - ١٨٥.

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٠٩؛ مروح الذهب ج ٢ ص ٢٧٥.

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥ ص ٢٥١، ٢٦٠.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) مغلطاي: سيرة النبي المصطفى. مخطوط ورقة ٧ أ.

أما الرأي الذي قال أن حرب الفجار كانت اثنين ذكروا أن هذه الأيام هي اليوم الأول والذي كان سبب قيامه بدر بن معشر الغفاري الذي كان بسوق عكاظ جالساً وباسطاً رجله قائلاً أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضرب هذه بالسيف فهو أعز مني"^(١)، فوثب عليه الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة من بني نصر بن معاوية فضرب بالسيف على ركبته ففصلها"^(٢) ثم قال: خذها إليك أيها المخنف"^(٣)، وعندئذ كانت الحرب الأولى من الفجار الأول وفي حرب الفجار الأولى كان يوم ثاني وهو فجار المرأة من بني عامر، فاعتدى شباب من العرب عليها بأن علقوا شوكة في طرف ثوبها، فلما قامت انكشفت سوءتها وبعدئذ وقع قتال شديد بين الطرفين، حتى توسط حرب بن أمية واحتمل دماء القوم وأرضى بني عامر"^(٤).

واليوم الثالث من أيام الفجار الأول هو فجار القرد، وذلك أن رجل من بني جشم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة، ولكن الكناني لم يستطيع تسديد الدين، فأحضر صاحب الدين قرداً ونزل به سوق عكاظ ثم جعل ينادي: من يبيعي مثل هذا القرد بمالي على فلان بن فلان الكناني؟ وأثناء مناداته مر به رجل من بني كنانة فقتل القرد بسيفه، فهتف

(١) الأصفهاني: المصدر السابق ، ج٢٢ ص ٥٩؛ ابن واصل ص ٢٢٦١.

(٢) يذكر العصامي أنه خدشها خدشاً غير كبير. سمط النجوم العوالي، ج ١ ص ٢٣٧.

(٣) الأصفهاني: السابق ج٢٢ ص ٥٩؛ ابن واصل ص ٢٢٦١.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ، ج ٢٢ ص ٦٠.

به الجسمي: يا آل هوازن وهتف الكناني: يا آل كنانة، فتجمع الحيان فاقتلوا حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى^(١).

أما الفجار الثاني: فكان الذي هاجها البراض بن قيس بقتله عروة الرحال^(٢)، وكان من أيام هذه الحرب شمطه والعبلاء وشرب والحريرة، فنلاحظ هنا أن من ذكر أن الفجار فجارين جعل في الأولى فجار الغفاري وفجار المرأة وفجار القرد، وفي الفجار الثاني كان فجار الضمري وما أعقب ذلك من أيام.

أما من قال إن حرب الفجار كانت ثلاثة فذكر أن الأول كان فجار الغفاري والثاني كان فجار المرأة والثالث كان فجار القرد^(٣)، وقد أغفل صاحب هذا الرأي فجار الضمري.

أما من ذكر أن حرب الفجار كانت أربعة، فذكر أن حرب الفجار الأولى كانت فجار الغفاري، والفجار الثانية هي فجار المرأة، والفجار الثالث فجار القرد، والفجار الرابع والأخير فجار الضمري^(٤).

(١) الأصفهاني: المصدر السابق، ج٢ ص ٢٢٦.

(٢) جرجي زيدان: المرجع السابق، ص ٢٧٢.

(٣) ابن رشيقي: ج٢ ص ١٨٩.

(٤) ابن عبد ربه: ج٥ ص ٢٥٣.

أما من ذكر أن الفجار كانت ستة فهو مغلطاي وقال أن ذلك هو الصحيح، لكنه لم يذكر أي معلومات أو أي شيء يتعلق بماهية هذه الحروب وأسمائها وكل ما ذكره أن الصحيح أنها ستة^(١).

لكن من الملاحظ أن اصحاب كل تلك الآراء أو معظمهم قد أغفلوا ذكر حربين من حروب الفجار لكنهما غير حروب الفجار التي قامت بين كنانة وقيس عيلان، وإنما كانت بين الأوس والخزرج واليهود، فأما الأولى فكانت بين الأوس والخزرج وسميت بالفجار لأن الأوس قد قتلت ثلاثة غلمان وقد دفعتهم الخزرج كرهان لحرب البقيع التي كانت بينهما، وعندئذ وقعت الحرب بين الأوس والخزرج وكان رئيس الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت^(٢).

أما الفجار الثاني فكانت بين الأوس وحلفائهم من اليهود بني قريظة وبني النضير ضد الخزرج، وسببها أن الخزرج قد علمت أن الأوس قد حالفت قريظة والنضير على الخزرج، فلما بلغ ذلك الخزرج أرسلوا إلى اليهود يهددونهم بالحرب، فقالت اليهود: إنا لا نريد ذلك، فأخذت الخزرج أربعين غلاماً من قريظة والنضير كرهان لوفاء اليهود، إلا أن الخزرج غدرت بالعهد وقتلت الغلمان اليهود، وعندئذ وقعت حرب الفجار الثانية وسميت بالفجار لقتل الغلمان من اليهود^(٣) وكان آخر الأيام

(١) مغلطاي: سيرة النبي المصطفى، مخطوط ورقة ١٧.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١ ص ٥٠٢.

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١ ص ٥٠٤.

في حرب الفجار الثانية يوم بعث الذي حدث قبل الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة بخمس سنوات^(١).

من الملاحظ أن من قال أن حرب الفجار كانت اثنين أو أربعاً قد اختلفوا في تقسيمهم لحروب الفجار، فمن قال اثنان فقد جعل الحرب الأولى والثانية والثالثة يوماً واحداً وجعل الثانية يوماً آخر^(٢).

أما من قال أنها أربع فقد جعل حرب الفجار الأولى عند أصحاب الرأي السابق ثلاثة حروب بالإضافة إلى الحرب الرابعة^(٣) التي هي الثانية عند أصحاب الرأي الأول.

أما من قال أنها ثلاثة^(٤) حروب فقد أغفل الحرب الرابعة التي عرفت بفجار الضمري، والتي شارك في بعضه أيامها النبي صلى الله عليه وسلم.

أما من قال أنها ست أيام فقد أدخل -والله أعلم بمراده- حروب الفجار الأربعة التي كانت بين قيس عيلان وكنانة وحربين الفجار التي

(١) السمهودي وفاد الوفا، تحقيق/ خالد عبد الغنى محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م ج ١ ص ١٧٢؛ علي معطي: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، مؤسسة المعارف، بيروت، د. ت. ص ٤٣.

(٢) الفاكهي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٢، الأصفهاني: ج ٢٢ ص ٥٨، ٧٨؛ ابن واصل: ص ٢٢٦-٢٢٦٩.

(٣) ابن حبيب: السابق ص ١٦٠: ١٨٥؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٧٥.

(٤) ابن رشيقي: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨٩.

قامت في المدينة بين الأوس والخزرج واليهود^(١).

ونستخلص مما سبق أن حروب الفجار أربعة كانت بمكة وما حولها وكانت فجاراً لفجورهم في الأشهر الحرم، وحربان آخران كانتا في المدينة سببها قتل الغلمان سواء من الخزرج أو من اليهود، فحروب الفجار التي قامت في مكة وما حولها تختلف في أسبابها وأطرافها عن تلك التي قامت في المدينة.

وفي هذه الدراسة سيقصر الحديث حول الحروب التي كان للأحباش دوراً فيها وإبراز دور الأحباش العسكري في تلك الحروب.

سبب حرب الفجار الرابعة:-

كان هناك شخص من بني ضمرة يدعى البراض بن قيس بن رافع^(٢)، وكان سكيراً فاسقاً معدوداً من فتاك الجاهلية^(٣)، وبسبب تصرفاته وأفعاله خلعه قومه^(٤)، فذهب إلى بني الدليل ربما لمحالفتهم وأن يستلحقوه، إلا أنه شرب هناك وأساء التصرف فخلع منها أيضاً فلم يجد بداً من الذهاب

(١) ابن الأثير: ج١ ص ٥٠٢، ٥٠٨.

(٢) عند ابن حبيب اسمه رافع بن قيس. المحبر: ص ٢١٤، المنمق: ص ١٦٤ والصواب البراض بن قيس.

(٣) هو من يتصف بالجرأة والقتل. وقيل عن البراض أفئك من البراض. الميداني: مجمع الأمثال، ج٢ ص ١٠٥.

(٤) ابن حبيب: المنمق، ص ١٦٤.

إلى مكة فحالف بني سهم^(١)، وقيل حالف حرب بن أمية، لكن يبدو أنه حالف الاثنين، فحالف بني سهم أولاً، وأثناء حلفه منهم قتل رجلاً من هذيل فقام الهذليون إلى بني سهم يطلبون دم صاحبهم فأعلنت بنو سهم أنهم قد خلعوا البراض وتبرءوا من جرائمه، وأعلن العاص بن وائل أنه خلعه كما يخلع الكلب^(٢)، فكف الهذليون عن المطالبة بدم البراض مؤقتاً.

وبعد خلع البراض من بني سهم هام على وجهه باحثاً عن أحداً يحالفه فلم يجد أحداً يقبله كحليف حتى جاء إلى حرب بن أمية يطلب حلفه إلا أن حرباً رفض في البداية، لكنه وافق على مخالفة البراض، بعد أن ألح البراض عليه بشرط إن رأى حرب من البراض ما يكره يخلعه ويتبرأ منه، وعندئذ تم التحالف بين حرب بن أمية والبراض، ولكن البراض اعتدى على رجل من خزاعة ففر البراض إلى اليمن فأقام بها سنة^(٣)، وبعدها أراد العودة لمكة مرة أخرى، فعلم الهذليون والخزاعيون باقتراب البراض من

(١) ابن حبيب: السابق، ص ١٦٤.

(٢) من الراجح أن آخر من حالفه بعد بني سهم هو حرب بن أمية، لأن حرب لما قرر أن يخلع البراض بعد ذلك قال له البراض "إنه لم يبق أحد ممن يعرفني إلا خلعتني سواك وإنك إن خلعتني لم ينظر إلى أحد بعدك، فدعني على حلفك، وأنا خارج عنك، فخرج إلى الحيرة، الأغاني في ج ٢٢ ص ٦١.

(٣) ابن حبيب: المعبر، ص ٢١٤؛ ابن حبيب: المنق، ص ١٦٤.

مكة فأرادوا الثأر منه بعد أن أصبح خليعاً لا حلف له^(١) وبالتالي فلن يطلب أحد بدمه أو الثأر له^(٢).

وتذكر أحد المصادر أنه مكث على حلف حرب بن أمية ولم يتبرأ منه حرب، ولكن يبدو أن الإبقاء على هذا الحلف كان إسمياً فقط لأن حرباً أراد التبرؤ من حلف البراض، إلا أن البراض طلب من حرب أن يقيه على حلفه لأنه لم يعد هناك أحد ممن يعرفه يريد محالفته^(٣).

ولما كثر الطلب على البراض ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فولى وجهه شطر الحيرة لعله يجد عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ملاذاً وحاول الدخول على النعمان دون جدوى.

وفي تلك الأثناء التي كان فيها البراض ينتظر مقابلة النعمان بن المنذر كان موعد انعقاد سوق عكاظ قد حان^(٤)، وكان كل عام يبعث إليه النعمان بن المنذر بلطيمة^(٥)، ولا يتعرض لها أحد حتى قتل النعمان بن المنذر

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٢) هو الذي تخلعه القبيلة من انتمائه إليها بسبب الجرائم والمخالفات التي يرتكبها.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢ ص ٦١.

(٤) كان يقام سوق عكاظ في شهر ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم، وكان يقام يوم هلال ذي القعدة حتى العشرين منه. عرفان محمد حمور: سوق عكاظ ومواسم الحج، نوح الرحاب الحديثة، بيروت ج ١ ٢٠٠٠ م ص ٥٧. وسيأتي الحديث عن سوق عكاظ ومواعيده بتوسع في الحياة الاقتصادية للأحابيش.

(٥) العير التي عليها أحمال من أوعية المسك والطيب. ابن منظور: ج ٨ ص ٨٣.

أحد أخوة بلعاء بن قيس الكناني^(١) فلم يجد بلعاء وسيلة ينتقم بها لقتل النعمان لأخيه من التعرض لقوافل النعمان المتجهة لتهامة فى سيرها لسوق عكاظ، وقد فعل بلعاء ذلك مرتين^(٢)، فخاف النعمان على لطيمته يومئذ، فكان يبحث عن شخص يجيز لطيمته ويبيعها ويشتري له بها الأدم^(٣)، والحريز والوكاء^(٤)، والحذاء والبرود من العصب^(٥)، والوشى^(٦) والمسير^(٧) والعدني^(٨)، وكان حاضراً وقتها البراض بن قيس وعروة الرجال بن عتبة ابن جعفر بن كلاب فوثب البراض متقلداً سيفاً قد أكل غمدة من حدة، فقال أنا أجيزها لك؟، فقال: عروة الرجال مستهزئاً من البراض: أنت تجيزها على أهل الشيخ والقيصوم؟ وإنما أنت كالكلب الخليع أنت أضيق أستا من ذلك، ثم وجه كلامه للنعمان أنا أيها الملك أجيزها لك على الحين يقصد كنانة وقيس، فقال له البراض: أنت تجيزها على أهل تهامة، فلم يلتفت النعمان إلى البراض وازدراه ودفع اللطيمة إلى

(١) بلعاء بن قيس تقدم ذكره فى حرب ذات نكيف والمشلل.

(٢) ابن حبيب:المحبر، ٢١٥، المنمق ص ١٦٤.

(٣) الجلد المدبوغ. المقري: ص ١١.

(٤) جبل يشد به رأس القرية، المقري: المصباح المنير ص ٣٩٩.

(٥) برد يصبغ غزله ثم ينسج، والعصب صبغ لا يثبت إلا باليمن، المقري:المصباح المنير ص ٢٤٦.

(٦) نوع من الثبات يكون منقوشاً. المقري:المصباح المنير، ص ٣٩٣.

(٧) ثوب فيه خيوط القز والحريز.

(٨) الثياب التي تأتي من عدن.

عروة الرحال^(١)، الذي خرج بعدئذ بالعبير، والبراض بن قيس في إثره حتى قتله البراض وإستولى على العبير.

وعن كيفية مقتل عروة يقال أن البراض كان يتبع عروة، ولما كانوا بين ظهراني قومه من غطفان إلى جانب فدك إلى أرض يقال لها أواره فنزل بها عروة فشرب الخمر وغنته القيان ثم نام، فجاء البراض فدخل عليه، فناشده عروة وقال: قد كانت مني زلة وكانت الفعلة مني ضله فقتله^(٢).

وقيل إن عروة والبراض أثناء وجودهما بوادي تيمن بأرض أواره بنواحي فدك، أخرج البراض بن قيس قداحه يستقسم بها في قتل عروة، فمر به عروة فقال: ما تصنع يا براض؟ فقال: استقسم في قتلك أيؤذن لي أم لا؟ فقال عروة: إستك أضيق من ذلك، فوثب إليه البراض بالسيف فقتله^(٣).

ويمكن الجمع بين القولين بأن استهزاء عروة بالبراض وسخريته منه أثناء استقسامه وقوله أن يتساک حملها البراض في نفسه وأخذ عروة على حين غرة وهو سكران فقتله.

(١) ابن حبيب: المحبر، ص ٢١٥؛ المنق، ص ١٦٥.

(٢) أبى عبيدة: أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق عادل البياتي، عالم الكتب، ط ١ ٢٠٠٣ م ج ٢ ص ٢٥١.

(٣) ابن الأثير: ج ١ ص ٤٤١-٤٤٢.

وعلى كل حال بعد أن قتل البراض عروة هرب من كان مع عروة، وأخذ البراض العير واتجه بها إلى خيبر وتبعه رجلان من قيس أحدهم اسمه أسد بن جويد الغنوي، والآخر اسمه ساور بن مالك الغطفاني لكي يقبضا عليه، إلا أن البراض لقيهما وهما لا يعرفانه فتحايل عليهما ففتك بهما.

وبعد فعلة البراض بقتله للرجلين، لقي رجلاً يدعى بشر بن أبي خازم فقال له هذه القلائض لك، وكانت عشراً من الإبل^(١) وقيل أربع قلائض^(٢)، على أن تأتي حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان وهشاماً والوليد بن المغيرة فتخبرهم أن البراض قتل عروة، فإني أخاف أن يسبق الخبر إلى قيس ويكتموه حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً^(٣).

فقال له بشر: وما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل؟ قال: إن هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضمرة^(٤)، وذلك أن عروة الرحال كان سيداً لهوازن، والبراض كان خليعاً من بني كنانة^(٥) كما سبق القول.

(١) في الكامل لابن الأثير: رجلاً من بني أسد بن خزيمة ج١ ص ٤٤٢، والمعني واحداً لأن

أسد بن خزيمة بن خندف أيضاً، ونسب بشر منها.

(٢) المصدر السابق، ج١ ص ٤٤٢.

(٣) البلاذري: ج١ ص ١٠١.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج٢٢ ص ٦٣.

(٥) ابن عبد ربه: ج٥ ص ٢٥٣.

وأثناء حديث البراض بن قيس مع بشر بن أبي خازم مر بهما الحليس ابن يزيد سيد الأحباش سيد الأحباش، فقال لهما مالي أراكم نجياً؟ فأخبروه الخبر ثم ارتحلوا وكتموا الخبر على اتفاق منهم^(١)، فخرج بشر حتى أتى عكاظ وبها جماعة من الناس، فأتي حرب بن أمية فأخبره الخبر، فبعث إلى عبد الله بن جدعان وإلى هشام بن المغيرة المخزومي والد أبي جهل، وهما من أشرف قريش وذوي السن منهم، كما أرسل إلى كل قبيلة من قريش أحضر منها رجلاً، وإلى الحليس بن يزيد سيد الأحباش^(٢)، فأخبرهم أيضاً، فتشاوروا وقالوا: نخشى من قيس أن يطلبوا ثأر صاحبهم منا فإنهم لا يرضون أن يقتلوا به خليعاً من بني ضمرة^(٣)، يقصدون بالخليع البراض بن قيس، وحتى لا يشعر بني جعفر بن كلاب رهط عروة القليل أو يشكون بأمر قريش اتفق حرب بن أمية والحليس بن يزيد وعبد الله بن جدعان أن يأتوا أبا عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنه، ويقولوا له أنه قد حدث بين نجد وتهامة، وإنه لم يأتنا علمه فأجز بين الناس حتى تعلم فأجز بين الناس، وأعلم قومه ما قيل له، ثم قام نفر من قريش فقالوا: يا أهل عكاظ إنه قد حدث في قومنا بمكة حدث أتانا

(١) البلاذري: ج١ ص ١٠١؛ الأغاني ج ٢٢ ص ٦٣ - ٦٤.

(٢) لا تعارض في ذلك بين إرسال حرب بن أمية للحليس بن يزيد سيد الأحباش يعمل بهما حدث، وبين علم الحليس المسبق بالأمر، لأن الحليس عندما مر بالبراض كان بشر خارج سوق عكاظ، بدليل أن حرب أرسل للحليس ولغيره من قريش وهو في عكاظ لي يحضروا إلي سوق عكاظ، وربما أن الحليس قد ذهب عندما علم بالأمر إلى دياره لكي يجهز الأحباش وسبق لحرب محتملة قادمة.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص ٤٤٢.

خبره ونخشى إن تخلفنا عنهم أن يتفاقم الشر، فلا يروعنكم تحملنا، ثم ركبوا على الصعب والذلول إلى مكة^(١).

وبعد أن رحلت قريش ومن معها من الأحابيش علمت قيس بمقتل عروة الرحال فقال أبا براء، خدعنا حرب وابن جدعان، وكان ملاعب الأسنة وقيس لا يزالا بسوق عكاظ، فخرجوا بإثر قريش ومن معها عند نخلة واندلعت أولى معارك حرب الفجار التي استمرت أربع سنوات^(٢).

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١ ص ٤٤٢.

(٢) الفاكهي: ج٥ ص ١٨٥.

معركة نخلة:-

هي أولى المعارك التي وقعت بين قريش والأحباش ضد قيس، ونخلة موضع بالحجاز بين مكة والطائف^(١)، وقد اندلعت فيها معركة نخلة، وسببها أن قيس لما علمت بمقتل عروة الرحال على يد البراض بن قيس وخرجت قريش ومن معها من الأحباش من عكاظ^(٢) بحجة أن هناك أمر حدث بين نجد وتهامة يخشى تفاقم الأمر منه، تبعتهم ولحقت بهم بنخلة، ويقال أن عبد الله بن جدعان قد قام بتوزيع الأسلحة التي كانت عنده^(٣)، على قريش ومن معها من الأحباش، وقد استمر القتال حتى دخلت قريش الحرم وجرّ عليهم الليل فكفوا عن القتال^(٤).

(١) ابن منظور: السابق، ج ٨ ص ٤٩٨. هناك عدة أماكن تسمى بنخلة وهم نخلة اليمانية،

ونخلة الشامية ويضيف الحموي إليهم نخلة القصوي ونخلة محمود، وفيها ذكر الحموي قيام

معركة نخلة التي بصدد الحديث عنها موضع على ليلة من مكة. البكري: السابق، ج ٤ ص ١٤٨؛

الحموي: معجم البلدان، ج ٨ ص ٣٨١.

(٢) عكاظ: تقع فممنتصف الطريق بين نخلة والطائف. ابن الأثير: الكامل، ج ١ ص ٤٤١

(٣) محمد جاد المولى: أيام العرب، ص ٣٢٩. كانت العرب إذا قدمت عكاظ تدفع أسلحتها إلى

ابن جدعان حتى يفرغوا أسواقهم وحجهم ثم يردها عليهم إذا اظعنوا وقد كان أن جدعان

أميناً في ذلك حتى أن حرب بن أمية طلب من ابن جدعان أن يحتجز سلاح هوازن فرفض

ابن جدعان قائلاً: أباالغرر تأمرني يا حرب؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به

ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً. الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢ ص ٦٤.

(٤) ابن الأثير: ج ٤ ص ٤٤٣.

وكادت الغلبة يومئذ تكون على قريش لولا إحتماؤها بالحرم^(١)، وعندئذ إنتهت المعركة وقال الأدرم بن شعيب أحد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا معشر قريش، ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ^(٢)، ولم تنته المعركة بنتيجة حاسمة لأي من الطرفين ويمكن القول أن هذه المعركة لم تحسم لقريش لأنها لم تكن تستعد لها هي والأحابيش لأن الأحداث التي آلت إليها هذه المعركة كانت سريعة، كما أن قريش أثناء فرارها من عكاظ متجهة إلى مكة لم تكن على علم بأن قيس ستعلم بما حدث لعروة الرحال وأنهم سيتبعون قريش بهذه السرعة، أضف إلى ذلك أن قوة الأحابيش التي كانت بعكاظ لم تكن كبيرة، إنما هي فئة قليلة كانت تذهب لسوق عكاظ سنوياً مع هوازن وغطفان وأسلم وقريش للتجارة^(٣) وليس للحرب، بدليل دفعهم الأسلحة عند إنعقاد السوق عند ابن جدعان^(٤)، أما ما يقال بأن ابن جدعان قد جهز في هذه المعركة قريش بمئة درع ومائة رمح ومائة سيف ليس صحيحاً لأنه إذا قام بذلك فسوف يحتاج لوقت طويل لكي يجهزهم مما يثير الشك في نفوس قيس وغطفان، أضف إلى ذلك الأسلحة الأساسية الخاصة بقريش والأحابيش التي كانت عند ابن جدعان، فإذا أضيفت الأسلحة الرئيسية الموجودة بالفعل لوجدنا أن قوة قريش والأحابيش لم تقل عن الأربعمئة تقريباً،

(١) ابن الأثير: السابق ج١ ص ٤٤٣.

(٢) الأصفاني: الأغاني، ج٢٢ ص ٦٥.

(٣) المرزوقي: المصدر السابق، ص ٣٨٥ الصحاري: الأنساب، د.ن، د.ت، ص ٣.

(٤) الأغاني ج٢٢ ص ٦٤؛ جاد المولى: السابق ص ٣٢٩.

وهذا ما لا تؤيده الأحداث التي وقعت، وإذا نظرنا إلى قواد قريش في هذه المعركة لدل الأمر على قلة جيش قريش والأحابيش آنذاك، فقد كان حرب بن أمية في القلب وكان معه راية قصى العقاب، وابن جدعان في أحد المجنبتين وهشام بن المغيرة في الأخرى^(١) ولم تذكر أي من المصادر ذكر لإشتراك الحليس بن يزيد في هذه المعركة وهو سيد الأحابيش، على الرغم من علمه بما حدث لمقتل عروة الرحال وما أجمع عليه الحضور من قريش للانسحاب بهدوء من عكاظ.

أما قواد قيس وحلفاءها، فكان ملاعب الأسنة عامر بن مالك على بن عامر وكيدام بن عمير على فهم وعدوان، ومسعود بن سهم على ثقيف وسبيع ابن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية، والصحة بن الحارث على بني جشم^(٢).

هذه هي معركة نخلة أولى حروب الفجار الرابعة بين قريش ومن معها من الأحابيش، وقيس وغطفان وحلفائهم، أما ما قيل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشترك في معركة نخلة هذه^(٣) فلا دليل عليه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنه إشتراك في حرب الفجار لكنه لم يحدد

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢ ص ٦٥.

(٢) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ٢٢ ص ٦٥.

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر، تحقيق: محمد الخطراوي، دار التراث، المدينة المنورة، ط ١

معركة بعينها إشتراك فيها، إلا أن الأحداث تبين أنه إشتراك في يوم شمطة، كما سيتضح فيما بعد.

معركة شمطة:-

هي ثاني المعارك التي كانت بين قريش وحلفائها من الأحباش ضد قيس عيلان وحلفائها، وأحد أيام حرب الفجار الرابعة، وقد أخطأ النويري عندما عدها ويوم نخلة يوماً واحداً^(١)، وقيل أن هذه المعركة اسمها شمطة^(٢)، وقيل شطيمة، وقيل شيطمة^(٣)، وشيظمة^(٤) وقيل شمطة^(٥)، والصواب شمطة، وهو موقع قريب من عكاظ^(٦).

وكانت هذه المعركة بعد عام من معركة نخلة، وسببها أن قريش لما دخلت الحرم بعد خروجها من عكاظ العام السابق نادى قيس عيلان يا معشر قريش إننا نعاهد الله ألا نبطل دم عروة أبداً أو نقتل به عظيماً منكم^(٧)، وقال الأدرم ابن شعيب أحد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة: يا

(١) النويري: نهاية الأرب، دار الكتب المصرية، ط١، ١٩٥٥م، ج١٥ ص٤٢٧.

(٢) ابن حبيب: السابق، ص١٧٣؛ أبو عبيدة: أيام العرب، تحقيق د/عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ط١، ٢٠٠٣م ج٢ ص٢٥٤؛ الأصفهاني: ج٢٢ ص٦٧؛ الحموي: ج٥ ص١٥٦.

(٣) الفاكهي: ج٥ ص١٨٥.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢ ص١١٢.

(٥) العصامي: ج١ ص٢٣٩.

(٦) البكري: ج٣ ص٨٨.

(٧) الحموي ج٥ ص١٥٦.

معشر قريش ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ^(١)، فقال حرب بن أمية لابنه أبي سفيان: قل لهم أن موعدكم قابل في هذا اليوم^(٢)، أي في مثل نفس اليوم الذي وقعت فيه معركة نخلة.

وقد كانت هذه المعركة مهمة، فقد أخذ المتحاربون يجهزون لها عاماً كاملاً وإشتراك فيها بطوناً كثيرة، وكانت بنو هاشم لا تريد الخروج فيها، فقد حاول أبو طالب كبير بني هاشم آنذاك أن يمنع إشتراك أحد من بني هاشم فيها، فقرر ألا يحضره هو أو أي أحد من أهله، ولكن الزبير بن عبد المطلب شقيق أبي طالب خرج مكرهاً إليها وقال عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية لا تحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم لذا خرج الزبير في هذه الحرب^(٣)، ومعه النبي - صلى الله عليه وسلم - والعباس بن عبد المطلب^(٤).

أما البطون التي شاركت في هذه الحرب فهي:-

-
- (١) النويري: ج٥ ص ٤٢٧.
 - (٢) الأصفهاني: ج٢٢ ص ٦٥.
 - (٣) البعقوبي: ج٢ ص ١١.
 - (٤) ابن حبيب: السابق، ص ١٧١.
 - (٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٧٠.
 - (٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٧٢.
 - (٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥ ص ٣٤٩؛ ابن حجر: الإصابة، ج٦ ص ٢٥٨.
 - (٤) ابن حبيب: السابق، ص ١٧٠.

بنو هاشم وعليها الزبير بن عبد المطلب، وكان معهم بني المطلب وكان على بني المطلب يزيد بن هاشم بن المطلب.

بني عبد شمس وعليها حرب بن أمية ومعه أخواه أبو سفيان وسفيان بن نوفل عليها مطعم بن عدى بن نوفل.

بني أسد بن عبد العزي عليها خويلد بن أسد وعثمان بن الحويرث ابن أسد وعلى بني زهرة مخزومة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف ابن زهرة وأخوه صفوان.

بني عبد الدار: عليها عكرمة بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ويقال عامر أبوه.

بني مخزوم: عليها هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومعه أخوه الوليد بن المغيرة.

بني سهم: عليها العاص بن وائل وعلى بني تميم: عبد الله بن جدعان، وعلى بني عدى زيد بن عمرو بن نفيل وعلى بني عامر بن لؤى عمرو بن عبد شمس أبو سهيل بن عمرو، وعلى بني محارب ابن فهر ضرار بن الخطاب بن مرداس، وعلى بني الحارث بن فهر عبد الله بن الجراح أبو أبي عبيدة بن الجراح.

وعلى بني جمح معمر بن حبيب^(٣).

ويقال أن بني بكر وبني فراس بن غنم بن مالك ، وبني أسد بن خزيمة شاركوا في هذه المعركة^(٤) في صفوف قريش والأحباش، فقد كان على بني بكر بن عبد مناة بلعاء بن قيس^(٥)، والذي سبق وحارب ضد قريش والأحباش في يوم ذات نكيف والمشلل، ويقال أنه مات في تلك الأيام أي أمام حرب الفجار الرابعة وأخذ أخوة جثامة بن قيس مكانه^(٦).

أما بني أسد بن خزيمة فكان عليهم بشر بن أبي خازم الشاعر وعلى بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة عمرو بن قيس.

أما الأحباش فقد إشتراكوا كلهم في هذه الحرب^(١)، وكان عليهم الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف^(٢)، ويبدو أن بني الدليل كانت أيضاً ضمن تشكيل الأحباش يومئذ حيث كان معاوية الديلي رئيس بني نفاثة بن الدليل يوم الفجار^(٣)، ولم تحدد هذه المصادر أي معارك الفجار شارك بني الدليل بزعامة معاوية الديلي فيها، ولكن من المحتمل أنه شارك في حروب الفجار الرابعة ابتداءً من يوم شمطة التي شارك فيها الأحباش كلهم^(٤)، ومن

(١) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص ١٧٠.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص ١٧٢.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٥ ص ٣٤٩ ؛ ابن حجر: الإصابة ، ج ٦ ص ٢٥٨.

(٤) ابن حبيب: السابق ، ص ١٧٠.

المعلوم أن بني نفاثة بن الدليل من الأحباش^(١)، كما أن بني بكر بن عبد مناة الذين منهم بني الدليل قد شاركوا أيضاً في هذه الحرب.

و كان على الجبهة الأخرى من هوازن وثقيف وحلفائهم مايلي:-

كان على بني جشم وبني سعد بن بكر: الخيسق^(٢) الجشمي، وعلى ثقيف وهب بن معتب بن مالك وأخوه مسعود وعلى بني نصر بن معاوية أو أسماء بن الضريبة وعطية بن عطيف وسبيع بن ربيعة.

وعلى بني عامر بن بيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب: سلمة ابن إسماعيل^(٣) أحد بني البكاء ومعه خالد بن هوذة أحد بني الحارث ابن ربيعة

وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة: ربيعة بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نهيل بن هلال بن عامر وعلى الأبناء أبناء صعصعة سلمة بن سعاء (إسماعيل) أيضاً^(٤).

(١) البلاذري: ج١ ص ١٠١؛ الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢ ص ٦٤.

(٢) في الأغاني: الخيسق. ج ٢٢ ص ٦٨.

(٣) في المنق، اسمه سلمة بن سعاء، ص ١٧٣.

(٤) أبي عبيدة: ج ٢ ص ٢٢٥؛ المنق: ص ١٧٢-١٧٥؛ الأغاني: ج ٢٢ ص ٦٨.

وكان على قيس: ملاعب الأسنة أبو براء وعلى غطفان عوف بن أبي حارثة المري، وعلى بني سليم: عباب بن زعل بن هني بن أنس، وعلى فهم وعدوان: كدام بن عمرو^(١)، ويقال إن كعباً وكلاباً لم تحضرها^(٢)، ولا شك أنه بذكر كل هذه الأسماء الخاصة بقواد الحرب في معركة شمطة يتبين لنا ما ستجرى عليه الأحداث في تلك الموقعة، فبعد أن تم تعيين قواد كل بطن وقبيلة تهيأ الفريقان للتسلح والمسير إلى ميدان المعركة.

لقد كانت كل قبيلة تتولى تسليح المحاربين منها، وهناك من تبرع من ماله الخاص بتسليح من ليس عنده سلاح، مثل عبد الله بن جدعان الذي قام بتسليح ثلاثمائة جندي بأسلحة مختلفة، فقد قدم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف^(٣)، وقيل بل جهز مائة رجل بأداة كاملة^(٤) بالدرع والرمح والسيوف.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١ ص ٣٣٣.

(٢) الأصفهاني: ج ٢٢ ص ٦٧. إلا أن ابن حبيب يرى أن كلاب لم تتخلف عن هذه الحرب لأنهم هم الموتورون ومن قبائل قيس، لأن عمرو بن عتبة الرجال القليل الذي لأجله كانت قيام هذه الحرب منهم. ابن حبيب: المنمق ص ١٧٤.

(٣) الأصفهاني: ج ٢٢ ص ٦٤.

(٤) ابن حبيب: السابق، ص ١٧١.

كما تولت قريش بإطعام المحاربين خاصة الأحابيش، فكانت قريش تطعم الأحابيش ومن إنضم إليهم لنصرتها الخزير^(١)، وهو طعاماً كان معروفاً عند قريش خاصة هو والسخينة^(٢)، وكانت قريش تعبر بالسخينة لأكل الخزير^(٣).

وقبل المسير إلى المعركة جعلت القيادة العليا مجتمعة في يد حرب ابن أمية^(٤)، وقيل حرباً وابن جدعان^(٥)، وتحركوا إلى عكاظ، وعلى إحدى الجانبين ابن جدعان، وفي الأخرى هشام بن المغيرة، وحرب ابن أمية في القلب^(٦) وقد أعطى حرب ابن أمية بعض التعليمات لجيشه وطلب منهم تنفيذها، حيث طلب من بني كنانة وبعض الأحابيش أن يبقوا في بطن الوادي القريب من شمطة

(١) هو اللحم ، يقطع صغاراً في الخزيرة في القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح ، فإذا أحييت طبخاً وضع عليه الدقيق فعصد به ، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. ابن منظور ج٣ ص ٨١، قيل أن جدعان هو الذي تولى إطعام المحاربين أيضاً. ابن بكار: المصدر السابق، ج٢ ص ٦٥٠.

(٢) دقيق يلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يحسى ، وهناك أخرى تصنع من دقيق وسمن. ابن منظور: ج٤ ص ٥٢٧.

(٣) ابن حبيب: المنمق، ص ٢٠٦؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٤ ص ٥٢٧.

(٤) ابن حبيب: السابق، ص ١٧٢.

(٥) ابن حبيب: المحبر، ص ١٩٣.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ج٢٢ ص ٦٨.

التي فيها المعركة وقال لهم: لا يبرحوا مكانهم ولو هزمت قريش^(١).

أما قيس وهو ازن وحلفائهم، فقد تجمعت قيس واستعانت بثقيف وجمعوا الجموع وقادوا الخيول وكانت خيلهم كثيرة يومئذ، سار في ثقيف مسعود بن معتب ووهب بن معتب فاستجلبا ثقيفاً ومن أطاعهما وبعثت قيس في كل قبيلة من قيس رجلاً ليستجلبها، فكان في بني عامر أبو براء، وكان في جشم دريد بن الصمة ولكن في بني نصر سبيع بن ربيعة وفي سليم عباب بن حي الأصم الرعلي، فاجتمعوا ونزلوا عكاظ قبل قريش بيومين^(٢)، وكادت تقع حرب فيما بينهم لإختلافهم في تعيين قادة الجيش إلا أنه تم حسم الأمر بأن جعلوا أبا براء ملاعب الأسنة قائداً على بني عامر، وعلى بني نصر وسعد بن بكر وثقيف مسعود بن معتب اليقفى وأمره إلى سبيع بن ربيعة، وكان على غطفان عوف بن حارثة المري، وعلى بني سليم عباس بن حي الرعلي؛ وعلى فهم وعدوان كدام بن عمير^(٣).

وقد ظلت قيس ومن معها في عكاظ يومين ولم تأت قريش والأحباش بعد، فظنوا أن قريشاً لن تأتي وتراهنوا على ذلك، فما

(١) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ٢٢ ص ٦٨؛ ابن واصل: ق ٢ ج ٣ ص ٢٢٦٥.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٧٥.

لبثت كتائب قریش أن بدأت تتوافد، ثم أخذ الفريقان فى الإستعداد وتسوية الصفوف إيداناً ببداية المعركة، وكان أول شيء تم هو خروج الحليس بن يزيد سيد الأحابيش داعياً أي أحد من الجانب الآخر لمبارزته، فخرج إليه أبو حرب بن عقيل بن خويلد من بني كعب بن ربيعة، فتطاعنا ساعة حتى كسر العقيلى عضد الحليس بن يزيد ثم تحاجزا، وتحصد الناس بعضهم إلى بعض فاقتلوا قتالاً شديداً^(١) ولا شك أن موقف الحليس سيد الأحابيش لدليل على شجاعة وإقدام الأحابيش وقادتهم، وليس معنى أن عضد الحليس قد كسرت أن ذلك يقلل من شأنه، والبراز أو المبارزة قبل اشتباك الجيش كان من عادة العرب فى بعض الأحيان، وكان لا يتقدم إلى المبارزة إلا المعدودين بالشجاعة والجرأة والإقدام فى الحروب، حتى أنه من شروط المبارزة والدعوة إليها كان لا يدعو إليها إلا الرجل الذى يعرف نفسه بالجلد فعندئذ يدعوا إلى البراز^(٢)، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك يكتفى الباحث بذكر مثال واحد، فإن أبي بن خلف قد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد إلى البراز، فبرز إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقتله^(٣).

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٢) أبى يعلى: الأحكام السلطانية، تحقيق محمد الفقى، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط ٣١ ١٩٨٧م ص ٤٥.

(٣) أبى يعلى: الأحكام السلطانية، ص ٤٦.

و على كل حال بعد البراز يتقدم الجيشان فيما أن يتراموا بالنبل أو يشتبكا، ففي معركة شمطة اشتبك الفريقان بعد مبارزة الحليس مباشرة، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً، وكان النصر في أول النهار لقيس على كنانة، وإنهزمت من قريش بنو زهرة وبنو عدي، وقتل معمر بن حبيب ورجال من بني عامر بن لؤي، فإنهزمت طائفة من قريش وثبتت حرب بن أمية وإخوته وسائر قبائل قريش والأحابيش^(١)، وكانت بني بكر لما رأت إنكشاف قريش إنسحب بلعاء بن قيس ومن معه من بني بكر إلى جبل يسمى زخم^(٢) وكان بني الحارث بن عبد مناة دون باقي الأحابيش منتظرين في بطن الوادي، ولم يشتركوا في القتال بناءً على أمر حرب بن أمية، لكن لما إنسحبت بني بكر تقدم بني الحارث بن عبد مناة، وإشتركت في القتال وأبدوا ضروباً من الشجاعة والبهالة في القتال حتى قتل يومئذ تحت رايتهم مائة رجل^(٣).

وقيل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أبدى هو الآخر من الشجاعة ما لفت إليه نظر ابن جدعان فكان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " لا يصير في فئة إلا انهزم من يحاذيها، فقال حرب بن

(١) ابن حبيب: السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) أبي عبيدة: السابق ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٣) ابن حبيب: السابق ، ص ١٧٨ .

(٤) الأصفهاني: الأغاني ، ج ٢٢ ص ٦٩ .

أمية وعبد الله بن جدعان، ألا ترون إلى هذا الغلام ما يحمل على فئة إلا إنهزمت؟^(١).

و بمشاركة بني الحارث الأحابيش في المعركة كان لها أثراً كبيراً في تحول مجريات أحداث المعركة، والنتيجة التي آلت إليها، فقد قتل تحت رايتهم كما سبق القول مائة رجل وإنهزمت ثقيف وبنو عامر وقتل من بني عامر وحدها يومئذ عشرة.

وبعد قتال شديد بين الطرفين إنتهت المعركة، خلف الطرفان كثيراً من القتلى والجرحى، وإنتهت المعركة لصالح هوازن وإنهزمت قريش ومن معها، وقيل لم يقتل من قريش أحد يذكر^(٢)، وإنصرف المتحاربون على أن يستعدوا للجولة القادمة في العام المقبل.

معركة العباء (عكاظ):

كانت هذه الحرب بعد مضي عام من معركة شمطة، وسميت بالعباء لاندلاع القتال عند جبل العباء بجانب عكاظ^(٣).

وكان القواد في هذه الحرب هم أنفسهم الذين كانوا في معركة شمطة ولم تذكر المصادر شيئاً كثيراً عن تفاصيل هذه المعركة،

(٢) الفاكهي : المصدر السابق ، ج٥ ص ١٨٦ .

لكن لا شك أن هذه الحرب كانت شديدة أيضاً حيث لم يتخلف عنها أحد من الذين شاركوا في معركة شمطة سوى من قتل من الفريقين، وقد إنتهت هذه الحرب بانتصار هوازن على كنانة، وقتل يومئذ العوام ابن خويلد والد الزبير بن العوام على يد مرة بن معتب الثقفي^(١) ولكن هناك بعض أبيات الشعر قالها خدش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة وهو من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية^(٢)، وعدّه بن سلام من الطبقة الخامسة من الشعراء، وقد قتلت قريش أبوه في أيام الفجار^(٣)، وفي الأبيات التي قالها خدش في يوم العباء بعض الملامح عن سير المعركة وما آلت إليه، فمن ذلك قوله: -

وحي بني كنانة إذ أبيروا	ألم يبلغك ما لقيت قريش
فظل لنا بعقوتهم زئير	دهمناهم بأرعن مكفهر
	و قال أيضاً: -
ضربنا خندفاً حتى استقادوا	ألم يبلغك بالعبلاء أنا
وودوا لو تسيح بنا البلاد.	ونبني بالمنازل عز قيس

(١) الفاسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ١١٢.

(١) ابن عبد ربه: ج ٥ ص ٢٥٧

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاکر، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٣ م ج ٢ ص ٦٣١، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاکر، دار المدني جدة د.ت ج ١ ص ١٤٣-١٤٤.

(٣) أبي عبيدة: السابق، ج ٢ ص ٢٥٦.

يوم شرب: -

تعتبر هذه المعركة من أشد المعارك التي خاضتها قريش والأحابيش في الجاهلية عامة وفي حرب الفجار خاصة، وسميت هذه المعركة بشرب، نسبة إلى شرب أحد الأماكن بعكاظ، وكانت هذه المعركة شديدة الأهمية واستماتت فيها قريش والأحابيش، فبعد هزيمة قريش في معركة العبلاء قبل عام من معركة شرب، وكانت قواد قريش والأحابيش هم أنفسهم قواد المعارك السابقة، إلا من قتل منهم كالعوام بن خويلد، وقد استعدت قريش جيداً لهذه المعركة، وقد حمل ابن جدعان وحده من الجنود ألفاً على ألف بعير^(١) وأخذت قريش والأحابيش على أنفسهم العهد ألا يفروا ولا يحدث لهم مثل الذي حدث من قبل في يوم العبلاء، ولعل ذلك يتضح من لبس حرب بن أمية درعين وكذلك سفيان بن حرب، وقيد حرب بن أمية نفسه ولبس أبو العاص درعين وقيد نفسه أيضاً ومعهم العباس بن عبد المطلب قيد نفسه كدليل على الاستماتة في القتال وقالوا: لن نبرح حتى نموت أو نظهر عليهم^(٢) فسموا لذلك بالعنابس والعنابس هو الأسد وقيل إن العنابس هم من بني أمية خاصة حرب وأبو

(١) الفاكهي: ج ٥ ص ١٨٧.

(٢) ابن حبيب: السابق، ص ١٧٧.

حرب، وسفيان وأبوسفيان^(١) ويضاف إليهم عمرو وأبو عمرو وبنو أمية، لأنهم شبهوا بالأسد في حرب الفجار^(٢)

وقد قام الفريقان بتسوية الصفوف، وقيل أن الحليس بن يزيد قد طالب في هذه المعركة من ييارزه فخرج إليه الحدثان بن سعد النصرى فطعنه الحدثان فدق عضده وتحاجزا^(٣)، ويبدو أن هذه المباراة غير التي قام بها الحليس يوم شمطة، وعلى كل حال اشتد القتال بين الفريقين، وقاتلوا قتالاً شديداً، فهرب من هرب وثبت من ثبت على القتال، وحافظت بني مخزوم على توقفهم، خاصة بنوالمغيرة فإنهم صبروا على القتال وأبلوا بلاءً حسناً^(٤) كما أبلى الأحباش بلاءً حسناً في القتال وأسرفت قريش والأحباش في قتل أعدائهم حتى لاذت قيس بالفرار، واستجادوا بيت سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف زوجة مسعود بن معتب الثقفي، فلما إنهمزمت قيس دخلوا خبائها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها، فكان كل من يريد الإبقاء على نفسه يدخل الخباء، وظلت قيس تتوافد على خباء سبيعة حتى أخرجوها منه، فخرجت فنادت: من تعلق بطنب من أطناب بيتي فهو آمن في ذمتي، فداروا بخبائها

(١) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٣٨.

(٢) الزمخشري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢، ص ٧١-٧٢.

(٤) ابن واصل: تجريد الأغاني، ص ٢٢٦٦.

حتى صاروا حلقة فأمضى ذلك كله حرب بين أمية لعمتة، فكان يضرب في الجاهلية بدار قيس المثل^(١).

ولكثرة القتلى في قيس واتباعها فرت قيس كلها إلا بني نصر فإنهم صبروا ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دهمان، فلم يغنوا شيئاً، فعقل نفسه ونادى يا آل هوازن، يا آل نصر، فلم يأت إليه أحد ومضوا في فرارهم^(٢)، وبعد إنتصار قريش والأحباش الساحق قرر الفريقان وقف الحروب الطاحنة المشتعلة بينهم.

يوم الحرية:-

هو آخر أيام حرب الفجار الرابعة، وسمي بيوم الحرية نسبة إلى حرة بين الأبواء ومكة قرب نخلة^(٣)، وقد إشتراك في هذه الحرب الذين شاركوا في سائر الأيام السابقة من حرب الفجار الرابعة، وكان قادتها هم نفس القادة في الأيام السابقة إلا من توفي منهم، فقد مات بلعاء بن قيس قبل وقوع معركة الحرية فتولى مكانة أخيه جثامة بن قيس قيادة بني بكر^(٤) والذي سبق وأن فر من قبل، وقد كان القتال في هذا اليوم شديداً إلا إنه لم يقتل من قريش عدد كبير، فقد قُتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية،

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢ ص ٧٢-٧٣.

(٢) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ٢٢ ص ٧٢.

(٣) الحموي: ج ٣ ص ١٤٢.

(٤) ابن عبد ربه: ج ٥ ص ٢٥٩.

كما قتل ثمانية رهط من بني كنانة قتلهم عثمان بن أسد من بني عمرو بن عامر بن ربيعة، كما قُتل ورقاء بن الحارث أحد بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر^(١).

وقد كان القتال أصبح عادة لهم في هذه الأيام حتى إن الرجل منهم بعد ذلك يلقي الرجل والرجلين فيقتل بعضهم بعضاً، ومن ذلك قيام ابن محمية بن عبد الله الديلي بقتل زهير بن ربيعة أبا خداش الشاعر الذي سبق عرض شعره في يوم العباء، وكان قد جاء معتمراً إلا أن ابن محمية الديلي قتله^(٢).

ثم تداعى المتحاربين على الصلح على أن يدي من علية فضل في القتلى الفضل إلى أهلة، فأبى ذلك وهب بن معتب وإنس إلى هوازن وأغاروا على بني كنانة وكثر القتلى في الطرفين، عندئذ قرروا الصلح، وتم الاتفاق على إحصاء كل طرف لقتلاه، ومن يكون قتلاه أكثر يتم تقديم الفدية له، فاستوثق أبو براء ملاعب الأسنة من رؤساء قيس وسبيع بن ربيعة عن قتلاهم، ثم تم الإستيثاق من حرب ابن أمية وابن جدعان وهشام المغيرة، وعدوا القتلى فوجدوا لقيس فضل عشرين رجلاً قودتهم^(٣)، وحتى تضمن هوازن وقيس الحصول على الدية من قريش قام حرب بن أمية

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢ ص ٧٥.

(٢) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ٢٢ ص ٧٦.

(٣) ابن حبيب: المنمق، ص ١٨٠-١٧٩.

برهن ابنه أبا سفيان، ورهن الحارث بن كلدة العبدى ابنه النصر، ورهن سفيان بن عوف سيد الأحباش ابنه الحارث^(١) ضمن أربعين رجلاً من فتيان قريش^(٢)، وقيل إن هوازن لما رأته رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو فأطلقوهم^(٣)، وقيل أن الذي ودى القتلى هو حرب بن أمية^(٤).

وبالصلح بين الطرفين وضعت الحرب أوزارها لتنتهي هذه الحرب الضروس التي راح ضحيتها خيرة شباب ورجال وأشرف العرب، ثم عقد بعد ذلك حلف الفضول بعد المنصرف من حرب الفجار.

أما عن البراص بن قيس الذي تسبب في هذه الحرب، فقيل إن قيساً أرادت القبض عليه وأن تدفعه لهم في كنانة إلا أنهم رفضوا^(٥).

(١) العصامي: ج١ ص ٢٤٢.

(٢) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٨٠، الأصفهاني: الأغاني ج٢٢ ص ٧٧.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج٢٢ ص ٧٧.

(٤) تزعم بنى كنانة أن القتلى الفاضلين قتلهم وأنهم ودوهم، ولكن أشهر الآراء ما سبق ذكره، وأن حرب بن أمية هو الذي وداهم فيما تروى قريش، الأصفهاني: الأغاني، ج٢٢ ص ٧٨.

(٥) أبى عبيدة: ج٢ ص ٢٦١. يقال أن البراص قدم مكة باللطيمة، وكان يأكلها وكان عامر بن يزيد بن الملوح بن عمر الكناني نازلاً في أخواله من بني نمير بن عامر، وكان متزوجاً فيهم فهتمت بنو كلاب بقتله فمعتته بنو نمير ثم شخصوا به حتى نزل في قومه. الأصفهاني: الأغاني، ج٢٢ ص ٦٦.

ملاحظات حول حرب الفجار الرابعة:

هناك عدة ملاحظات متعلقة ببعض أحداث حرب الفجار الرابعة بحاجة إلى توضيح، وهذه الملاحظات تتعلق بـ:

١- مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في حرب الفجار الرابعة.

٢- عمر النبي صلى الله عليه وسلم في حرب الفجار الرابعة.

٣- عدد أيام حرب الفجار الرابعة.

٤- القتال في الأشهر الحرم.

٥- دور ابن جدعان في حرب الفجار.

ونظراً لكثرة الآراء حول بعض هذه الأمور كان من الأفضل عدم الوقوف أمامها أثناء عرض أحداث حرب الفجار.

أما أولى هذه الملاحظات فهي خاصة بمشاركة النبي -صلى الله عليه وسلم- في حرب الفجار فهناك قولان:-

القول الأول: يرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يشارك في هذه الحرب لأنه لو كان معهم لم يهزموا^(١)، ونسب هذا الرأي إلي الزهري، وحتى لا نتقد الزهري أو نقل إن هذا الرأي ينسب إليه، فقد رجع الباحث إلي كتاب مغازي الزهري للتحقق من هذا

(١) ابن الأثير: ج١ ص ٤٤٣.

القول، فلم يجد له أي ذكر في كتاب المغازي الذي بين أيدينا، وربما يكون هذا القول في أحد مؤلفات الزهري الأخرى أو في جزء مفقود من المغازي، لأن مغازي الزهري المطبوع والمتداول الآن يبدأ بذكر حفر عبد المطلب لزمزم ولم يتعرض فيه لحروب الفجار أو غيرها من الأحداث المهمة التي سبقت مولد النبي صلى الله عليه وسلم أو سبقت بعثته، وسواء كان هذا القول ينسب للزهري أم غيره، فإن هذا الرأي غير صحيح.

القول الثاني: ويقول أنه شارك، ويكفي قول النبي - صلى الله عليه وسلم عن مشاركته في هذه الحرب "لقد حضرته مع عمومتي، ورميت فيه بأسهم، وما أحب أني لم أكن فعلت" (١) كما أنه كان ينبل على أعمامه (٢) أي يرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.

وكان من بلاء النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الحرب ما لفت إليه أنظار ابن جدعان وحرب بن أمية متعجبين من تحول الهزيمة التي تكون فيها جهة إلى نصر بعد انتقال النبي - صلى الله عليه وسلم - إليها فقالا: ألا ترون إلى هذا الغلام، وما يحمل على فئة إلا إنهزمت (٣)، كما أنه طعن أبا براء ملاعب الأسنه (٤).

(١) ابن سعد: ج١ ص ١٨٢.

(٢) ابن هشام: ج١ ص ١١١.

(٣) أبو عبيدة: ج٢ ص ٢٥٥.

(٤) الأصفهاني: ج٢٢ ص ٧٧.

أما عن المعارك التي شهدتها النبي " صلى الله عليه وسلم " فى هذه الحرب، فقيل أن شارك فى كل أيام الفجار الرابعة إلا يوم نخلة^(١) وهو أول أيام حرب الفجار الرابعة، أما الملاحظة الثانية فتعلق بعمر النبي " صلى الله عليه وسلم " فى حرب الفجار، فهناك عدة آراء، فقيل أن عمره كان أربع عشرة سنة^(٢) واحتجوا بقول منسوب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال " كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشر سنة^(٣)، وقيل كان عمره خمس عشرة سنة^(٤)، وقيل عشرون سنة^(٥).

وجدير بالذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أثناء قيام حرب الفجار الرابعة كان عمره لا يقل عن خمسة عشر سنة ولا يزيد عن عشرون سنة، لأن بعد انتهاء حرب الفجار كان عقد حلف الفضول وقيل إن عُمر النبي وقتها عشرون^(٦)، أو خمس وعشرون سنة^(٧)، فمن قال أن عمره وقت اندلاع حرب الفجار خمسة عشر سنة يكون عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم عقد حلف الفضول

(١) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ٢٢ ص ٧٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢ ص ٢٩٣.

(٣) ابن عبد ربه: جه ص ٢٥٣.

(٤) ابن هشام: ج ١ ص ١١١.

(٥) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ١ ص ١١٣.

(٦) ابن كثير: السابق، ج ٢ ص ٢٩٣.

(٧) الفاكهي: جه ص ١٩١.

عشرين سنة، ومن قال أن عمر النبي " صلى الله عليه وسلم " يوم قتال حرب الفجار عشرين سنة، فإن عمره يوم حلف الفضول خمس وعشرين سنة، لأن آخر يوم من أيام الفجار كان في شوال وهو يوم الحرية خاص أيام حرب الفجار الرابعة، وكان حلف الفضول بعد المنصرف من حرب الفجار في ذى القعدة^(١)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن حرب الفجار دامت خمس سنوات، وليس أربع سنوات^(٢) كما ذهب إلى ذلك البعض، لأن حرب الفجار الرابعة كانت فيها خمس حروب كل منها كان في عام.

وخلاصة القول أن عمر النبي " صلى الله عليه وسلم " يوم قامت حرب الفجار الرابعة كان عمره خمسة عشر سنة أو ستة عشر سنة ولعل الدليل على ذلك قول حكيم بن حزام - رضي الله عنه - ابن أخي السيدة خديجة " تزوج رسول الله " صلى الله عليه وسلم " عمتي خديجة وهى ابنة أربعين، ورسول الله بن خمس وعشرين، وكانت أسن منى بسنتين، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث وعشرين سنة، وشهدت الفجار وأنا ابن ثلاث وثلاثين سنة"^(٣).

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٢) لعل الخلاف في تحديد مدة حرب الفجار من بدايتها إلى نهايتها يرجع إلى إسقاط البعض يوم نخلة من ضمن أيام حرب الفجار الرابعة، وهناك من جعلها ويوم شمطة يوماً واحداً، والصواب والله أعلم أنها خمسة أيام في خمس سنوات.

(٣) البلاذري: السابق، ج ١، ص ٩٨-٩٩.

وكان حكيم من الذين حضروا يوم الحريرة آخر أيام حرب الفجار الرابعة^(١)، وقد قال حكيم أيضاً أنه قد رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حرب الفجار قد حضره^(٢) مما يدحض رأى من قال أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يشهد هذه الحرب كالقول المنسوب للزهري أو غيره^(٣) محتجين بذلك أنه غير مقبول أن يقال أن النبي " صلى الله عليه وسلم " حضر هذه الحرب وإنهزمت قريش^(٤)، أو متعللين فى ذلك أن الله لم يأذن لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هى العليا^(٥)، ولا شك أن القولين لا صحة لهما لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد حارب فى أحد وهو نبي وبين أظهر الصحابة وحلت الهزيمة بالمسلمين آخر الحرب، كما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - فى حرب الفجار لم يكن نزل عليه الوحي حتى يقال أنه كان مؤمناً ولا يجب أن يحارب مع الكفار أم لا، كما أن الدلائل التى ذكرت أنه قد حارب فى الفجار، كانت تدل على شجاعته وانتصار الجوانب التى يحارب فيها ولكن لا تحسم المعركة لشجاعة أو قوة فرد واحد دون الجماعة.

(١) البلاذرى: السابق، ج١ ص ٢٤٢.

(٢) ابن سعد: ج١ ص ١٨٢.

(٣) السهيلي: ج١ ص ٣١٩.

(٤) ابن الأثير: ج١ ص ٤٤٣.

(٥) السهيلي: ج١ ص ٣١٩.

أما الملاحظة الثالثة فهي متعلقة بعدة أيام حرب الفجار الرابعة، فقد وقع الخلاف بين العلماء فيها، فهناك من جعلها أربعة أيام^(١) وهناك من جعلها خمسة أيام^(٢) في أربع سنوات^(٣).

وسبب الخلاف بين هؤلاء وأولئك إعتبار أحدهم يوم نخلة ضمن يوم شمطة، في حين فصل بعضهم بين اليومين وجعل هذا في عام وذلك في عام آخر، وبالنظر في رأي من قال أن حرب الفجار الرابعة كانت أربعة أيام في كل عام يوم أي مدتها أربع سنوات^(٤) فكان أول يوم عنده هو يوم شمطة، وبالنظر في الرأي الذي حسب يوم نخلة أول حروب الفجار الرابعة فإنه أيضاً حسب مدة حرب الفجار بالخمسة أيام أربع سنوات، وهذا خطأ وقع فيه كل من تحدث عن مدة حرب الفجار وأرى أن الصواب في مدة حرب الفجار أنها خمسة أعوام وليس أربع لأن من المسلم فيه أن أيام حرب الفجار الرابعة على رأي من قال أنها أربع قال: إن هذه الأيام هي شمطة والعبلاء وشرب والحريرة، أربعة أيام في كل سنة يوم، فإذا أضفنا إليها يوم نخلة سيصبح عندنا خمسة أيام ومن المعلوم كما سبق القول أن يوم نخلة كان أول يوم من حروب الفجار الرابعة، وبينه وبين يوم شمطة عام، والدليل على ذلك أن

(١) الفاسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ١١٢.

(٢) ابن عبد ربه: ج ٥ ص ٢٥٩، جاد المولى: ٣٢٦ - ٣٤٠.

(٣) ابن عبد ربه: السابق، ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٩.

(٤) الفاكهي: ج ٥ ص ١٨٥.

قريش لما دخلت الحرم يوم نخلة قالت قيس لهم: يا معشر قريش
إننا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ في العام المقبل^(١).

وهذا يدل على أن مدة حرب الفجار الرابعة خمسة أيام في
خمس أعوام وليس أربعة أعوام.

أما الملاحظة الرابعة فهي متعلقة بالقتال في الأشهر الحرم،
فمن المعلوم أن قريشاً والأحبابيش كانوا يعظمون الأشهر الحرم،
وكانوا فيها لا يقاتلون ولا يغزون، حتى إن العرب كانوا إذا أرادوا
الغزو كانوا يلجئون إلى النسيء ليجدوا حلاً لهم، وذلك كما سبق
وأن أشار الباحث لذلك، فلماذا إذاً لجأ الأحبابيش وقريش في هذه
الأيام حتى أطلق على حربهم اسم الفجار؟، فيرى الباحث أن
السبب الذي دفع قريشاً والأحبابيش إلى هذه الحرب هو الدفاع
عن النفس وفرضت الظروف عليهم القتال فيها لأن غطفان وقيس
من البسل^(٢).

والبسل هي ثمانية أشهر حرم كانت تحرمها غطفان وقيس كلها
لا يحاربون فيها^(٣) على نسق ما كانت تفصل قريش والأحبابيش
وغيرهم من تحريم أربعة أشهر في العام، لكن كانت الأشهر الحرم

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص ٤٤٣.

(٢) جواد على: ج٨ ص ٢٧٤.

(٣) ابن هشام: ج١ ص ٦٧.

عند قريش هي أشهر الحل عند السبل وأشهر السبل أو الحرام عند قيس كانت حل عند قريش، فعلى ذلك لا يستبعد أن يكون السبب الذي كانت تقام فيه حروب الفجار الرابعة في نفس التوقيت تقريباً من كل عام هو حفاظ قيس على أشهرها الحرم ومحاربتها في الحل بعكس قريش وغيرها من قبائل العرب التي كانت تلجأ إلى النسيء ليحلوا الأشهر الحرم ويحرمون الأشهر الحل.

وهناك قضية متعلقة بالقتال في الأشهر الحرم في الإسلام، فهناك من يقول أنه من الحرام القتال فيها وهناك من يقول لا بأس بذلك فكان عطاء بن أبي رباح يرى أنه لا يحل القتال في الأشهر الحرم لقوله تعالى " فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين " (١)

أما الشيباني فيرد على ذلك قائلاً أن هذا منسوخ، ناسخه قوله تعالى " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " (٢)، يفيد إباحة قتلهم في كل وقت ومكان... كما صح أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " غزا الطائف لست بقين من المحرم ونصب المنجنيق عليها وافتتحها في صفر (٣).

(١) التوبة: آية ٥.

(٢) التوبة: آية ٥.

(٣) الشيباني: شرح السير الكبير، ج ١ ص ٦٧-٦٨.

أما الملاحظة الخامسة فمتعلقة بمشاركة بن جدعان في هذه الحرب، فابن جدعان هو من الشهرة بمكان لا يجعلنا نقدم عنه موجزاً ومختصراً لحياته حتى ما وصل إلى ما وصل إليه، لكن الذى يهمنا هو فضله في حروب الفجار، فقد قدم ابن جدعان أشياء كثيرة في حرب الفجار، لم يسبقه أحد إليها، فقد سأل معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - رجلاً قد حضر حرب عكاظ (الفجار) قائلاً: من أين تعاد القوم خروجهم إلى عكاظ؟ قال: فى دار ابن جدعان، قال فمن أين أخرجت السلاح؟ قال من دار ابن جدعان، قال: فمن أطعم الناس؟ قال: ابن جدعان، قال: ما أسمع الأمر كله إلا لابن جدعان^(١) فابن جدعان قدم فى يوم شمطة ثانياً أيام حرب الفجار الرابعة مائة درع ومائة رمح ومائة سيف^(٢) قيل إنه جهز بهم مائة رجل^(٣)، كما قدم فى يوم شرب رابع أيام حرب الفجار الرابعة ألف بغير حمل عليها ألفاً^(٤).

ولعل أهم شيء اتصف به ابن جدعان هو الأمانة وعدم الغدر، فعندما علمت قريش بما حدث لمقتل عروة الرحال، جاء حرب بن أمية إلى عبد الله بن جدعان وطلب منه أن يحتجز سلاح هوازن التى كانت مودعة عند ابن جدعان إلا أن ابن جدعان رفض وقال

(١) ابن بكار: المصدر السابق، ج٢ ص ٦٥٠.

(٢) الأصفهاني: ج٢٢ ص ٦٤.

(٣) ابن حبيب: ص ١٧١.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ١٨٢.

أبالغدر تأمرني يا حرب؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به ولا رمح إلا طفت به ما أمسكت منها شيئاً^(١)، وبمثل هذه الصفات كان يتحلى العرب، فها هو النبي " صلى الله عليه وسلم" كان مشركى قريش يودعون عنده أموالهم وأماناتهم وهو مسلم وهم مشركون، وبالرغم من ذلك كان النبي " صلى الله عليه وسلم" يحافظ عليها، وعندما همَّ النبي " صلى الله عليه وسلم" بالهجرة إلى المدينة أعلم علياً بن أبى طالب - رضى الله عنه - بالأمانات التى فى منزله " صلى الله عليه وسلم" وأوصاه بردها لأصحابها.

(١) أبى عبيدة: السابق، ج٢ ص٢٥٣.

الفصل الثالث

العرب والنظام العسكري في الجاهلية وصدر الإسلام

"والذى نفس الحليس بيده لتخلد بين محمد وبين ما جاء له

أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد"

(الحليس بن علقمة)

لما ظهرت الدعوة المحمدية إلى الدين الإسلامي بمكة، ووجدت قريش أن الدين الجديد يهدد مصالحها وينال من آلهتها الوثنية أخذت قريش وبعض حلفائها يتصدون للدعوة الجديدة، وأخذوا يصبون غضبهم على المسلمين خاصة من لا عصبية له، وظل الأمر ما يقرب من ثلاث عشرة سنة، والنبى -صلى الله عليه وسلم- والمسلمون يتحملون تعذيب قريش لهم، حتى أذن الله للنبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، وهناك نزل الإذن بالقتال، وكانت أول آية نزلت فى القتال^(١) قوله تعالى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)^(٢).

ولما نزلت أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله^(٣)، وهناك يجب أن ننتبه أن الأذن بالقتال أول نزوله لم يكن فرضاً وإنما إذناً ثم بعد ذلك فرض الله على المسلمين القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم^(٤)، فقال

(١) الطهطاوي: نهاية الإيجاز، تحقيق / عبد الرحمن حسن محمود، فاروق حامد محمد،

الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٠٥.

(٢) سورة الحج: ٣٩.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد، تحقيق/محمد عيادي، مكتبة الصفا، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م ج ٢

ص ٨١.

(٤) سورة البقرة: ١٩٠.

تعالى (وقاتلو في سبيل الله الذين يقاتلونكم)^(١)، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة قال تعالى (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)^(٢) .

ولقد كان القتال محرماً قبل الهجرة وبعدها إلى صفر من السنة الثانية للهجرة، ثم صار هناك إذن في القتال، ثم أبيع القتال في غير الأشهر الحرم، ثم أصبح الأمر بالقتال مطلقاً لمن قاتل ومن لم يقاتل في أي زمن حتى ولو في الأشهر الحرم^(٣).

ولقد استقر أمر الكفار مع النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد نزول سورة التوبة على ثلاثة أقسام:-

الأول: محاربون للنبي (صلى الله عليه وسلم) وهؤلاء إذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة.

الثاني: أهل عهد وهم الذين صالحهم النبي (صلى الله عليه وسلم) وواعدتهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم وأنفسهم.

الثالث: أهل ذمة، وهم من عقدت لهم الجزية.

(١) محمد بن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نشر عبد الرحمن الشيخ

، د.ت ، ص ١٠٤ .

(٢) سورة التوبة: ٣٦ .

(٣) الطهطاوي: المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

وهناك من يضيف قسماً رابعاً: وهم من دخلوا في الإسلام تقيه من القتل وهم المنافقون وكان (صلى الله عليه وسلم) يأمر أن تقبل منهم علانيتهم ويكل سرايرهم إلى الله تعالى، فكان معرضاً عنهم إلا فيما يتعلق بشعائر الإسلام الظاهرة كالصلاة^(١).

وعلى كل حال أن المتأمل لحروب النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته من بعده في صدر الإسلام يجد أنها كانت نوعين:-

الأولى: حروب المسلمين ضد قريش وفيها من المسموح للمسلمين أن يتعرضوا لقوافل قريش التجارية، لأنهم كانوا في حالة حرب، وسبق وأن أخرجت قريش المسلمين من ديارهم واستولوا على أموالهم^(٢)، ومن الأمثلة على ذلك سرية سعد بن أبى وقاص إلى الخرار في ذى القعدة على رأس تسعة أشهر من هجرته - صلى الله عليه وسلم - لاعتراض عير لقريش^(٣) وغزوة العشيرة في جمادى الآخرة على رأس عشر أشهر لاعتراض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام^(٤)، وكذلك خروج المسلمين لاعتراض

(١) بتصرف من المرجع السابق، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) على منصور: الشبهات الواردة في تعدد الزوجات والحروب والغزوات والحدود، الإسلام، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية، ط ١، ص ٥١٥.

(٣) زاد الميعاد، ج ٢، ص ١١٧.

(٤) ابن القيم: المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٨.

عير قريش المقبلة من الشام بقيادة أبي سفيان في رمضان ٥٢هـ^(١) التي انتهى أمرها باندلاع غزوة بدر الكبرى.

أما النوع الثاني من الحروب التي خاضها المسلمون فكانت ضد بعض القبائل العربية من غير قريش كبنو الحارث بن عبد مناة^(٢) والقارة^(٣) وبنو المصطلق^(٤)، وهم من الأحاييش كما تقدم ذكر ذلك، كما حارب النبي - صلى الله عليه وسلم - غيرهم من القبائل العربية، والروم والفرس.

وما يهمنا هنا هو موقف الأحاييش من الحروب مع المسلمين في صدر الإسلام ودورهم فيها، وسيكون الحديث في الصفحات التالية دور الأحاييش في الحروب التي قامت ضد الإسلام والمسلمين وموقف النبي - صلى الله عليه وسلم - منهم، ثم دور مسلمي الأحاييش العسكري في صدر الإسلام.

دور الأحاييش في غزوة بدر الكبرى (الثانية) (٥٢/٦٢٣م) :-

بعد أن أذن الله للمسلمين بالقتال، خرجت عدة سرايا وغزوات لمواجهة المشركين سواء من قريش أو غيرهم من القبائل العربية،

(١) ابن عبد البر: الدرر، تحقيق عزت زينهم، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت، ص ٦٥.

(٢) ابن خياط: المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣) ابن خياط: المصدر السابق، ص ٤٦.

(٤) عبد الحميد العبادي: صور من التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٤٨م، ص ١٩.

لكن لم تذكر أى من المصادر التى رجع إليها الباحث موقف الأحباش كقوة حربية من تلك السرايا والغزوات بشئ من التركيز خاصة السرايا التى وجهت إلى حلفائهم القرشيين قبل غزوة بدر الكبرى (٢هـ) وما بعدها، ولعل السبب فى عدم إبراز دورهم أو موقفهم تلك الفترة يرجع إلى عدم حدوث اشتباك و قتال بين المسلمين والمشركين يوضح من شارك فى القتال أو قتل، فى تلك السرايا أو الغزوات^(١).

ولم يحدث قتال بين المشركين والمسلمين قبل غزوة بدر الكبرى إلا فى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة قبل غزوة بدر الكبرى بشهرين تقريباً حيث كانت سرية عبد الله بن جحش -رضي الله عنه- إلى نخلة بين مكة والطائف ومعه ثمانية رجال من المهاجرين لرصد تحركات وتدابير قريش العسكرية، فمرت غير لقريش تحمل زيباً وغيره على رأسها عمرو بن الحضرمي، فقرر عبد الله بن جحش وأصحابه - رضوان الله عليهم - قتال المشركين، وبالفعل رمى واقد ابن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وفر الباكون تاركين العير فأخذها المسلمون وعادوا بها للمدينة، إلا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنكر ما فعلوه^(٢).

(١) أبو بكر الجزائري: هذا الحبيب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص ١٨٠.

(٢) أبو بكر الجزائري: هذا الحبيب، ص ١٨١.

على كل حال فى شهر رمضان ٢هـ خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - لإعتراض قافلة كبيرة لقريش قادمة من الشام إلى مكة فيها ثلاثون رجلاً وقيل أربعون رجلاً، عميدهم أبو سفيان بن حرب^(١).

وقد أخبر أحد العرب أباسفيان بخروج المسلمين بقيادة النبي - صلوات الله عليه وسلم - لإعتراضهم، فاستأجر أبو سفيان بن حرب رجلاً من بني غفار يدعى ضمضم بن عمرو الغفارى لكي يذهب إلى مكة مستنقراً لهم إلى نصر غيرهم.

فنفر أهل مكة وأشرفهم لنصرة غيرهم وأموالهم، ولم يتخلف منهم أحد سوى أبي لهب^(٢).

ومن الملاحظ أنه لم تكن هناك قوة من الأحاييش مشاركة فى هذه الغزوة مع المشركين من قريش، ولعل السبب فى ذلك هو السرعة فى الخروج لإنقاذ قافلة قريش التى كانت فيها أموالهم، وهناك سبباً آخر وهو وجود تأديبة قريش وبني بكر^(٣)، ورغبة بني بكر فى الإستيلاء على مكة أو الإشتراك فى أمر مكة مع قريش، وهو الحلم الذى حاول البكرين تحقيقه أكثر من مرة ووقعت

(١) ابن حزم: جوامع السيرة، تحقيق/ نايف العباس، دار ابن كثير، دمشق، ط ٢، ١٩٨٦، ص

(٢) ابن حزم: جوامع السيرة، ص ٨٤.

(٣) ابن هشام: ج ٢، ص ١٦٨.

الحروب بين بني بكر وقريش وحلفائها الأحابيش كحرب المشلل وذات نكيّف، ولقد خشيت قريش من الخروج يوم بدر ولما تذكرت ما بينها وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب فقالوا: "إنا لنخشى أن يأتونا من خلفنا"^(١) ويعتدوا على أهلهم إلا أن إبليس ظهر لهم في صورة سراقاة ابن مالك، وقال لهم أنا جار لكم من بني كنانة أن يقصدوا أهلكم وذرايكم بسوء"^(٢).

ولا يستبعد أن تكون قريش آثرت بقاء الأحابيش لحماية ظهرها وأهلها ليقفوا لبني بكر بالمرصاد إن هم قرروا الاعتداء على القرشيين خاصة أن أكثر الرجال قد خرجوا لإنقاذ قافلهم التجارية.

وسواء كان هذا الاستنتاج هو الذي وراء تخلف الأحابيش عن غزوة بدر الكبرى أو غيره، فليس معنى ذلك أنه لم يكن هناك مشاركة ولو بسيطة من الأحابيش، بل إن هناك من أبدى مشاركته وتأييده لهذه الحرب المتوقع حدوثها، فها هو نوفل بن معاوية الديلي من سادات بني كنانة وسيد بني الديل وهو من الأحابيش مشى إلى أهل القوة من قريش فكلمهم في بذل النفقة والحملات لمن خرج، فكلم عبد الله بن أبي ربيعة فقال: هذه خمسمائة دينار فضعها حيث رأيت، كما كلم حويطب بن عبد العزى فأخذ من

(١) ابن كثير: ج ٣، ص ٢٩٥.

(٢) ابن القيم: إغاثة اللهفان، تحقيق/كامل عويضة، مكتبة لينا ٢٠٠٢م، ص ١١٠.

نوفل بن معاوية مائتي ديناراً أو ثلاثمائة ثم قوى بهما السلاح والظهر^(١) ولم يقتصر الأمر على تقديم الأموال فقط، بل تشير أحد المصادر إلى مشاركة نوفل بن معاوية الديلي أحد سادة الأحابيش وقاتله مع قريش بالفعل يوم بدر^(٢) مما يدل على تواجد لبعض الأحابيش في تلك المعركة. وهناك مصادر تقول أن والد أبو الأسود الدؤلي كان يحارب في هذه المعركة أو في أحد مع المشركين وقتل فيها، وهناك من يرى أن أبا الأسود قد شارك بنفسه في هذه المعركة^(٣)، وعلى الناحية الأخرى، فقد شارك من مسلمي الأحابيش الصحابي مسعود بن ربيعة الديلي وكان من أوائل الناس إيماناً بالله ورسوله^(٤) وشارك مع المسلمين في القتال يوم بدر^(٥) وغيرها من الغزوات.

وانتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين، وهزيمة المشركين، استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون^(٦)، وقد كان فداء هؤلاء الأسرى أربعة آلاف إلى ما دون ذلك، فمن لم يكن عنده شيء أمر

(١) الواقدي: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٧.

(٢) الواقدي: المصدر السابق، ج ١ ص ٦٧، ١٢١.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ج ٣ ص ٣٠٤.

(٤) ابن عبد البر: الدرر، ص ١٧؛ ابن سيد الناس: ج ١، ص ١٨٤.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج ٦ ص ٩٠.

(٦) الطهطاوي: المرجع السابق، ص ٥٠١.

أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة، وذلك كان لمن لم يستطيع أن يفدي نفسه من الأسر فكان من يعلم عشرة غلمان من غلمان المدينة يفدى من الأسر، وكان تخصيص التعليم لغلمان أهل المدينة دون غلمان أهل مكة من المهاجرين لأن أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون^(١).

ولا شك أن هذه المعركة وغيرها من السرايا والغزوات تدلنا على عبقرية النبي - صلى الله عليه وسلم - الحربية ومعرفته لنقطة ضعف قريش التي وظفها في مواجهتهم وذلك عن معرفة المسلمون لأهمية التجارة والاقتصاد حين وجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - غزوات وسرايا المسلمين كبدر وغيرها لقطع شريان إقتصاد مكة والقبائل العربية الموالية لقريش، والتعرض لقوافلهم التجارية ومراقبة طرق التجارة ووضعها تحت سيطرة وإشراف المسلمين، مما دعا قادة مكة إلى القول قبيل غزوة الحديبية سنة ٦هـ " كنا قوماً تجاراً"، وكانت الحرب قد حضرنا حتى نهكت أموالنا"^(٢).

و هناك رأي للامنس في نتيجة هذه المعركة، فقد رأى أن سبب هزيمة قريش في موقعة بدر الكبرى كان بسبب عدم اشتراك الأحباش فيها^(٣).

(١) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧.

(٢) سحرالقواسمي: التجارة ودولة الخلافة، جامعة النجاح الوطنية، الأردن، ١٩٩٩، ص ١٤٦.

(٣) لامنس: الأحباش، ص ١٣.

لاشك أن هذا تقليد من هنري لامنس بشأن وقوة الإسلام والمسلمين ولن نقول أن السبب في انتصار المسلمين يرجع إلى قوتهم وإنما نقول أن ذلك يرجع إلى نصر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون^(١)﴾.

و بالنظر إلى الأحداث والمعارك بين المسلمين وقريش والتي اشترك فيها الأحباش توحى بعكس قول لامنس، ففي موقعة الخندق، وفتح مكة وغيرهما كان الأحباش ضمن جيش المشركين وأسفرت النتيجة عن إنتصار المسلمين على قريش والأحباش.

حتى موقعة أحد التي انتهت بهزيمة المسلمين، فكانت الغلبة فيها للمسلمين ولاذ المشركين والأحباش بالفرار، لولا ترك الرماة مواقعهم، وانتهى الأمر بهزيمة المسلمين. كما سيذكر فيما بعد، ولكن موقعة حمراء الأسد التي كانت تعتبر إمتداداً لموقعة أحد نجد أن قريشاً وحلفاؤها لم يقدرُوا على مواجهة المسلمين ولاذوا بالفرار.

دور الأحباش في غزوة أحد (٣هـ/ ٦٢٤م):-

لقد أحست قريش بعمق الجراح التي خلفتها موقعة بدر خاصة قتل السادة والأعيان منهم، وقد كانت الخسائر التي منيت بها قريش والقتلى الذين قتلوا منهم عاملاً كبيراً في اضطراب قريش،

(١) سورة آل عمران: آية ١٢٣.

أضف إلى ذلك تهديد طريق تجارتها إلى بلاد الشام الذي أصبح تحت سيطرة المسلمين^(١)، قد دفعت هذه الأسباب قريش إلى الرغبة في الانتقام من المسلمين والتجهيز لقتالهم والأخذ بالشار لهم وقد كانت الرغبة في الإنتقام فى أعقاب معركة بدر مباشرة، فيروى أن نوفل بن معاوية الديلي أحد سادة الأحابيش - وكان قد شارك فى غزوة بدر مع المشركين - قد بلغه أن قريشاً بكّت على قتلها ، فقدم نوفل إليهم يحرضهم على إعادة الكرة على المسلمين قائلاً: " يا معشر قريش لقد خفت أحلامكم وسفه رأيكم وأطعتم نساءكم ومثل قتلاكم يبكي عليهم ؟ هم أجل من البكاء مع أن ذلك يذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه فلا ينبغي أن يذهب الغيظ عنكم إلا أن تدركووا ثأركم من عدوكم"^(٢).

وكان لكلام نوفل صدى واسع فى نفوس بعض سادة قريش أمثال أبي سفيان، الذى أيد رأى نوفل بن معاوية فى ضرورة الثأر من النبي محمد وأصحابه^(٣)، ونذر أبو سفيان أن النساء والدهن عليه حرام متى يطلب ثأره من محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه^(٤) وحاول أبو سفيان ومن معه من قريش مواجهة

(١) أحمد عرموش: قيادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) السياسة والعسكرية ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩١ ، ص ٥٥ .

(٢) الواقدي: المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢١ .

(٤) الواقدي: ج ١ ، ص ١٨٨ ؛ ابن حبان: السيرة النبوية ، ص ١٥٣ .

المسلمين فجهزوا حملتين ضد المسلمين قبل غزوة أحد كغزوة السويق، وكانت بعد بدر بشهرين وأيام^(١) وبحران في ربيع الآخر ٣هـ^(٢)، كما وجه النبي سرية بقيادة زيد بن حارثة لإعتراض قافلة لقريش في جمادى الأولى، واستولى عليها المسلمون بعد أن أفلت أعيان قريش المصاحبين لهذه القافلة، وكانت الأموال كثيرة في هذه القافلة حتى أن خمس الغنائم التي وزعها النبي (صلى الله عليه وسلم) على من شهد هذه السرية، كانت عشرين ألفاً^(٣).

ولا شك أن هذه الخسائر التي تكبدتها تجارة قريش بالإضافة إلى قتلهم في بدر كانتا المحرك الأساسى لرغبة قريش فى الانتقام من المسلمين وتعويض خسارتهم التجارية.

لذا ليس من العجب أن يقوم أصحاب القافلة التجارية التى كان أبو سفيان قد نجح فى توصيلها بسلام إلى مكة ووضعها فى دار الندوة عندما خرج المسلمون لاعتراضها قبيل اندلاع معركة بدر أن يستعملوا مال تلك القافلة فى التجهيز لمحاربة المسلمين^(٤)، وكان فى هذه القافلة ألف بعير، وخمسون ألف دينار، إلا أن أبا سفيان رد إلى أهل العير رءوس أموالهم، وأخرجوا أرباحهم من

(١) ابن عبد البر: الدرر ، ص ٩٥ .

(٢) ابن عبد البر: المصدر السابق، ص ٩٣ .

(٣) ابن حبان: المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٤) أحمد عرموش: قيادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ص ٥٦ .

هذه القافلة وخصوصها للتجهيز للحرب القادمة فكانت الأرباح التي أخرجوها خمسة وعشرين ألف دينار^(١) ثم قاموا باستنفار حلفائهم معهم إلى هذه الحرب خاصة الأحابيش الذين كانت تستخدمهم قريش في كثير من حروبها^(٢) وفي ذلك يقول الصحابي كعب بن مالك:

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم إلى الرسول فجند الله مخزيتها
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والقتل لاقية
جمعتموها أحابيشاً بلا حسب أئمة الكفر غرّتكم طواغيها^(٣)

وكانت النية مبيته من قريش قبل عام من تاريخ غزوة أحد لعد العدة لهذه الحرب، فيروى أن خثيمة أبو سعد بن خيثمة صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "يا رسول الله إن قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومن تبعها من أحابيشها، ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا فيحصرونا في بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافريرين لم يكلموا فيجزئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئ علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا إذا

(١) الشامي: المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٧١.

(٢) الندوي: السيرة النبوية، دار القلم، د.ت، ص ٧٥.

(٣) كعب بن مالك: الديوان، ص ١١٢.

رأونا لم نخرج إليهم....."^(١)، وفي هذا يدل على نية قريش في الإعتداء على المسلمين من بعد هزيمتهم في بدر، ورغبتهم في تشجيع باقي القبائل العربية في شن هجماتهم على المسلمين.

وعلى كل حال عند ما قررت قريش المسير إلى حرب المسلمين وقاموا بتحريض العرب على المسلمين، كان في مقدمة الذين حرضتهم قريش جماعة الأحباش خاصة من بني عبد مناة بن كنانة فعندما قررت قريش المسير إلى حرب المسلمين ويستنصروا العرب قالوا عن بني عبد مناة أنهم غير متخلفين عن قريش في حربها وهم أوصل العرب لأرحامهم ومن اتبعهم من الأحباش^(٢).

وكانت قريش قد عيّنت أربعة نفر من قريش لكي يسيروا في العرب يدعونهم إلى نصرهم فبعثوا عمراً بن العاص، وهيرة بن أبي وهب وابن الزبير وأبا عزة عمرو بن عبد الله الجمحي الذي أطلق النبي - صلى الله عليه وسلم - سراحه من الأسر يوم بدر لأنه كان فقيراً ذا عيال وحاجه^(٣) ولم يكن أبا عزة يريد مشاركة قريش في حربها إلا أنه أمام إلحاحهم عليه قد وافق على الخروج لإستنصار العرب، فقد كلمه صفوان بن أمية وسأله أن يخرج إلى

(١) الواقدي: ج ١ ص ١٩٥.

(٢) الواقدي: ج ١، ص ١٨٦.

(٣) الواقدي: ج ١، ص ١٨٦؛ ابن هشام، ج ٣، ص ١٦.

بني الحارث ابن عبد مناة سادة الأحابيش ليسألهم النصر، فخرج أبو عزة إلى بني الحارث يحرضهم على الخروج مع قريش قائلاً لهم:

أنتم بنو الحارث والناس الهام أنتم بنو عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام لا تعدونا نصركم بعد العام
لا تسلمونا لا يحل إسلام^(١)

كما وجه حديثه أيضاً إلى أهل تهامة من بني كنانة قائلاً: -

أنتم بني عبد مناة الرزام أنتم حماة وأبوكم حام
ولا تعدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحل إسلام^(٢)

ولا شك أن هذا الشعر، وقول قريش عن بني عبد مناة أنهم أوصل العرب لأرحام قريش، وقولهم عن بني الحارث وبني كنانة أنهم رزام أى أشداء فى القتال لا يهربون من الحرب دليل كاف لإثبات عروبة الأحابيش وليس كما ادعاه لامنس وغيره من أنهم حبش.

(١) الزبير بن بكار: السابق، ج ٢، ص ٨٩٦، والرزام " جمع رزام وهو الذى يثبت ولا يبرح من مكانه يريد أنهم يثبتون فى الحرب ولا ينهزمون. الخشنى: شرح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، بتركيا، د. ت، ص ٢١٥.

(٢) ابن هشام: ج ٣، ص ١٦.

لم تكتفي قريش بهذا الفرع من الأحابيش بل دعت بني مالك ابن كنانة وهم من الأحابيش أيضاً، تدعوهم لحرب المسلمين فقال مسافع بن عبد مناف الجمحي لبني مالك بن كنانة:-

يا مال (١) مال الحسب المقدم أنشد ذا القربى وذا التذحم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد لمحرم (٢)

كما خرجت ثقيف بمائة رجل منهم ليشاركوا الحرب مع قريش والأحابيش خرجوا بعدتهم وسلاحهم (٣).

و نجحت قريش في تكوين جيشاً يقرب من ثلاثة آلاف مقاتل تقريباً كان الأحابيش ألفين من هذا الجيش (٤)، وكانوا إما حاسرين غير مرتدين الدروع، أو مقنعين، وفي ذلك يقول الصحابكعب بن مالك:-

فجئتنا إلى هوج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف وعن نصيه ثلاث مئين إن كثرنا وأربع (٥)

(١) مال: أي "بني مالك" وحذفت الكاف للترخيم.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦.

(٣) الواقدي: ج ١، ص ١٨٩.

(٤) الطبري: تفسير الطبري، تحقيق/ عبدالله التركي، هجر للطباعة والنشر، ط ١٠١، ٢٠٠١م، ج ١ ص

١٧٠؛ السيوطي: لباب النقول، المكتبة التوفيقية، د.ت، ص ١٥٨.

(٥) كعب بن مالك: الديوان، ص ٦٠.

وكان عدد المسلمين ألفاً ثم أصبحوا سبعمائة بعد إنسحاب عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من أتباعه^(١)، ثم عقد المشركين ثلاثة ألوية في دار الندوة، لواء يحمله سفيان بن عوف لبني كنانة، وسفيان هذا كان من قادة الأحباش يوم الفجار الرابع^(٢)، كما حمل الأحباش لواءً ثانياً، أما اللواء الثالث فحمله طلحة بن أبي طلحة^(٣)، ولقد ادعى لامنس أن الأحباش - الأحباش كما يدعى - كان لهم راية خاصة بهم يحملونها في الحرب^(٤).

لاشك أن هذا القول مبالغ فيه، صحيح أن الأحباش - موضوع الدراسة - كانت لهم راية خاصة بهم في غزوة أحد^(٥)، وليس الأحباش ويبدو أنه قد أساء فهم العبارة التي في كتب السيرة والتي تقول أن صواب الحبشي غلام لبني أبي طلحة قد رفع اللواء، فإنه لم يرفعه إلا بعد أن قتل كل من كان يحمله فتقدم صواب وحمله حتى قتل^(٦).

ويقال إنه لم يكن هناك إلا لواء واحد مع طلحة، لكن الصواب - والله أعلم - أنهم ثلاثة ألوية، لأن الأحباش كانوا يمثلون ثلثي

(١) ابن سعد: ج ٢ ص ٥٤ .

(٢) ابن حبيب: المنمق ، ص ١٧٢ .

(٣) الواقدي: ج ١ ص ١٨٨ ، الحوفي: المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥٣٨ .

(٥) أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة. ط ١،

١٩٥٢ م، ص ١٩٢ .

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣ ص ٣٠ .

الجيش كما كان لهم لواء يحملونه منذ حروبهم في الجاهلية^(١)، كما أنه كان مع المسلمين في أحد ثلاثة ألوية، اللواء الذي حمله مصعب ابن عمير^(٢)، ولواء مع الأوس وآخر مع الخزرج، وبعد أن تم تقسيم الألوية وتجهز الجيش، همّ جيش المشركين بالخروج بعد أن إستقسم أبوسفیان عند هبل، وخرج السهم الذي سمح فيه هبل في إعتقادهم بالخروج للحرب^(٣)

وقرر المشركون أن يأخذوا معهم النساء إلى الحرب، إلا أن نوفل بن معاوية الديلي نصح قريش بألا يصطحبوا النساء في الحرب خشية أن تكون الدائرة عليهم ويقعوا في الأسر إلا أن بعض النساء كهند بنت عتبة صممن على الخروج مع الجيش^(٤)، فخرجت قريش عندئذ بحدها وجدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها من كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وألا يفروا^(٥) وكنّ خمسة عشر امرأة، هن هند بنت عتبة وأميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم الكناني وهن زوجات أبي سفيان، برزة بنت مسعود الثقفي وهي والدة عبد الله الأكبر بن

(١) ابن حبيب: المنمق، ص ١٧٨.

(١٠) الطهطاوى: المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) القسطلاني: المواهب اللدنية، تحقيق صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢٠٠٤، ج ١ ص ٤٠٥.

(٤) الواقدي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٧.

(٥) ابن هشام: ج ٣، ص ١٦.

صفوان، الذى وفد على معاوية بن أبى سفيان فى خلافته وحدثه عن الأحباش^(١)، كما خرج صفوان أيضاً بامراته البغوم بنت المعدل بن كنانة، وخرجت أيضاً سلافة بنت سعد بن شهيد زوجة طلحة بن أبى طلحة الذى حمل لواء قريش يوم أحد، كما خرجت أم جهيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبى جهل، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة زوجة الحارث بن هشام، هند بنت منبة بن الحجاج زوجة عمرو بن العاص، كما خرجت خناس بنت مالك بن الخضرى، مع ابنها أبى عزيز بن عمير العبدرى، وخرجت رملة بنت طارق بن علقمة مع زوجها الحارث بن سفيان بن عبد الأسد، وخرجت أم حكيم بنت طارق زوجة كنانة بن على بن ربيعة بن عبد العزى، خرجت قتيلة بنت عمرو بن هلال زوجة سفيان بن عوفى قائد الأحباش يوم الفجار كما خرجت والدة النعمان وجابر ابنا مسك الذئب وهما من الأحباش كما خرجت عمرة بنت الحارث بن علقمة زوجة غراب بن سفيان بن عوفى^(٢)، وهى وزوجها من الأحباش، وكان لها دوراً كبيراً فى إنتصار المشركين بأحد فقد حملت لواء المشركين، عندما ظل صريعاً لا يجرؤ أحد على التقدم لحمله، بل أنها كانت قد شاركت فى القتال ، فيروى عن الصحابى أبى دجانة سماك ابن خرشه أنه يوم أحد

(١) الزبير بن بكار: المصدر السابق، ج ٢ ص ٨٧٥.

(٢) الواقدي: ج ١، ص ١٨٨. ويقال إن زوجة عمرو بن العاص اسمها ريطة بنت منبه وليس هند

كما قال الواقدي. ابن هشام: ج ١، ص ١٧.

قال: إنى لأنظر يومئذ - أى يوم أحد - إلى امرأة تقذف الناس وتحوشهم حوشاً منكراً، فرفعت عليها السيف، وما أحسبها إلا رجلاً، قال: وأكره أن أضرب بسيف رسول الله امرأة، والمرأة عمرة بنت الحارث^(١).

هذا وقد خرج من الأحاييش كما سبق القول ألفين، من بني الحارث ابن عبد مناة، وبني نفاثة بن الديل، وبني مالك بن كنانة، كما شارك بنو المصطلق وهم من الأحاييش أيضاً فى هذه الحرب^(٢).

وأبرز من شارك من قادة الأحاييش فى غزوة أحد، نوفل بن معاوية الديلي، وسفيان بن عوف ومعه عشرة من ولده^(٣)، النعمان بن مسك الذئب وأخوه جابر بن مسك الذئب^(٤)، والحليس بن علقمة^(٥).

(١) الواقدي: ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) العمرى: السيرة النبوية الصحيحة ، أضواء البيان ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

(٣) الواقدي: ج ١ ، ص ١٨٨ ؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٧م، ج ١٤ ص ٢١٧ .

(٤) الواقدي: ج ١ ، ص ١٨٨ .

(٥) ابن كثير: المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤٠ .

ويقال أنه إشتراك مع المسلمين في أحد بعض أتباع النجاشي من الأحباش^(١)، وتقدر أحد المصادر عددهم بأربعين من أصحاب النجاشي، وكانوا قد قدموا على النبي - صلى الله عليه وسلم - فشهدوا معه أحداً، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجىء بأموالنا نواسي بها المسلمين^(٢)، فأنزل الله فيهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) إلى قوله (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)^(٣).

وعلى كل حال خرجت قريش ومن معها من الأحباش وحلفائهم إلى المسلمين وأخذت النساء يحرضن الرجال قاتلات:

نمشي على النمارق
أو تدبروا نفارق

نحن بنات طارق
إن تقبلوا نعانق

فراق غير وامق

(١) سامية منسي: إسلام النجاشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١، ص ٧.

(٢) السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص ٢٩.

(٣) سورة القصص: (٥٢، ٥٤).

وينسب هذا الشعر إلى امرأة من بني شيبان قالت يوم قضة وهو من أيام بكر وتغلب ابني وائل ويدعى يوم التخالق: " إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق، فراق غير وامق" (١).

وطارق المقصود هنا هو الكوكب أو النجم ، وسمى طارقاً لأنه يطلع ليلاً ، وكل من أتاك ليلاً فقد طرقتك (٢).

وقد تمثلت به هند بنت عتبة، وقيل رملة بنت طارق وأم حكيم بنت طارق ذلك، وقد رأت السيدة عائشة - رضى الله عنها - بنات طارق بن المرقع من كنانة، فقالت: كذب الذى قال " إن الخيل أحسن من النساء" (٣)، وعلى ذلك يكون المقصود بطارق إما النجم لرفعته وأنه لا ينال، أو بنات طارق بن المرقع الكنانى، ولقد كان هذا الشعر راسخاً فى الأذهان حتى أن هند بنت عتبة - رضى الله عنها - لما أسلمت وإشتركت فى الفتوح أيام الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كانت مصاحبة للجيش فقالت هذه الأبيات لتحسيس الرجال (٤)، كما قالت هند أيضاً فى أحد:

وبها بني عبد الدار وبها حماة الأدبار

(١) البلاذرى ، ج ١ ، ص ٣١٧.

(٢) ابن قتيبة: أدب الكاتب ، تحقيق/ محمد محى ، دار الطلائع ، القاهرة د.ت ، ص ٦١

(٣) البلاذرى: ج ١ ، ص ٣١٧ ؛ المحبى ، ج ١ ، ص ٣٨٢.

(٤) ابن أعمش: الفتوح ، ج ١ ، ص ٢٦٠.

ضرباً بكل بتار^(١)

وكما اشتركت النساء فى أحد مع المشركين، إشتراك أيضاً المسلمات فى جيش المسلمين لخدمة الجنود المسلمين وتطييبهم وتحارب أيضاً أمثال السيدة أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية من الخزرج، شهدت ليلة العقبة، وأحداً، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة^(٢)، فقد خرجت فى جيش المسلمين تسقي الظمء وتأسو الجرحى، وقاتلت وأبلت بلاءً حسناً فقد احتملت قوسها وذهبت تصول وتجول بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، تنزع عن القوس وتضرب بالسيف، وكانت لا تري الخطر يدنو من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تكون سداً وملء لهوته حتى قال - صلى الله عليه وسلم -: ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني^(٣).

وعلى كل حال لما اقترب جيش المشركين وجيش المسلمين وأصبح القتال وشيكاً إستعد الطرفان للقتال، ولن يخوض الباحث فى تفاصيل الأحداث، بل سيكون التركيز على إبراز دور الأحابيش

(١) ابن هشام: ج ٣، ص ٢٢.

(٢) محمد المقدم: المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلين، دار ابن الجوزى، القاهرة، ط ١،

٢٠٠٥، ص ٥٥٢.

(٣) محمد المقدم: المرأة، ص ٥٥٣.

لأنهم هم المعنيين بموضوع الدراسة، وما غير ذلك من أحداث فهي مذكورة في كثير من أمهات الكتب لمن يريد الإطلاع عليها.

أما عن دور الأحباش في سير أحداث المعركة، فكان أول من أنشب الحرب أبو عامر بن عبد عمرو بن صيفي الذي كان يسمى في الجاهلية بالراهب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق، فقد إشتراك في خمسين من قومه الأوس ويقال خمسة عشر ذهبوا معه إلي مكة، وذلك عند التجهيز للقتال في مكة، ولما أصبح الإشتباك وشيكاً بين المسلمين والمشركين، قاد أبو عامر الناس خمسين رجلاً من الأحباش وعبدان أهل مكة وقومه، فلما خرج إلى معسكر المسلمين نادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر، فقالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق، بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع ردهم عليه قال، لقد أصاب قومي بعدى شر، ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة^(١) ثم أشدت القتال بين المسلمين والمشركين وأبلى الفريقان بلاء حسنا، وأظهر كل منهم تفانيه في القتال، وكانت الغلبة للمسلمين قد أظهرهم الله على عددهم وسقطت ألوية المشركين حملها يقرب من عشر رجال كلما يحملها رجلاً منهم يقتل حتى حمل اللواء صؤاب الحبشي،

(١) ابن هشام: ج ٣ ص ٢٢٢؛ الشامي: ج ٤، ص ٢٨٤

وهو آخر من حمل اللواء من الرجال، وقد قتله علي بن أبي طالب، وقيل قزمان^(١)، وقيل سعد بن أبي وقاص.

فقال الصحابي حسان بن ثابت في قتل حملة لواء المشركين:

تسعة تحمل اللواء وطارت	في رعا ع من القتا مخزوم
وأقيموا حتى أيدوا جميعاً	في مقام وكلهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظاً	أن يقيموا إن الكريم كريم
لم يولو حتى أذيلوا جميعاً	والقنا في نحورهم محطوم
وقريش تلوذ منا لوأذاً	لم يقيموا وخف منها الحلوم
كرهت حملة العواتق منهم	إنما يحمل اللواء النجوم ^(٢)

ولما رأت قريش اللواء قد سقط ولم يتقدم أحد لحملة لاذوا بالفرار منهزمين، حتى خاطرت عمرة بنت علقمة الحارثية من الأحابيش فتقدمت بكل بسالة وشجاعة ورفعت اللواء مرة أخرى، وفي تلك الأثناء ترك أكثر الرماة المسلمين أماكنهم لجني الغنائم مخالفين أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بألا ينزلوا من الجبل مهما كانت الأسباب، إلا أن أكثر الرماة لما رأوا المشركين فروا،

(١) ابن سعد: ج ٢، ص ٥٧.

(٢) الواقدي: ج ١، ص ٢٠٦.

وفرت النساء يشتدون على الجبل قد بدت خلاخيلهم وسوقهن
رافعات ثيابهن^(١)

ولما رفعت عمرة بنت علقمة اللواء بصر سيف الله خالد بن
الوليد الرماة قد تركوا مكانهم ، فقام - رضى الله عنه - بحركة
التفاف حول المسلمين وتحولت الهزيمة التى نزلت بالمشركين
لنصر، وأخذ المشركين يقتلون المسلمون، وفر أصحاب النبي -
صلى الله عليه وسلم - عنه، ولا يلوون على شئ، ورسول الله -
صلى الله عليه وسلم- يقول إلى يا فلان أنا رسول الله، فما يعرج
عليه أحد، وظل الأمر كذلك حتى تجمع إلى النبي - صلى الله
عليه وسلم- ثمانية، ثلاثة من المهاجرين، وهم: علي والزبير
وطلحة، وخمسة من الأنصار وهم أبو دجانة، والحارث بن الصمة
والخباب ابن المنذر، وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف، كلهم
بايعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - على الموت فلم يقتل منهم
أحد، وقيل كانوا خمسة عشر رجلاً^(٢)، ولقد أشاد الصحابي حسان
بن ثابت بموقف عمرة وحملها اللواء وعلق عليه إنتصار المشركين
قائلاً:-

إذا عضل سيقت إلينا كأنهم جداية شرك معلمات الحواجب

(١) البلاذرى: ج ١١، ص ١٣٧.

(٢) ديوان حسان بن ثابت: ص ٩٠-٩٢.

أقمنا لهم ضرباً مبيراً منكلاً وحزنناهم بالطعن من كل جانب

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب^(١)

وقال أيضاً:-

عمرة تحمل اللواء وصدت عن صدور القنا بنو مخزوم^(٢)

ولقد برز دور العديد من الأحباش في هذه المعركة، فمنهم من قتل ومنهم من قتل، فقد قتل نوفل بن معاوية الديلي وهو من الأحباش وبعض من المسلمين هم عنتره مولى سليم بن عمر بن حديده، وقيل حليف بني تميم بن كعب بن سلمة^(٣)، كما قتل أيضاً " عمرو بن قيس " من بني النجار^(٤)، ولقد تعاهد أربعة رجال على قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم عبد الله بن شهاب وعتبة بن أبي وقاص وأبى بن خلف وابن قمئة، وابن قمئة هذا قيل إنه من بني الحارث بن عبد مناة الأحباش، وقد رمى أحد المشركين النبي - صلى الله عليه وسلم - فقيل أن الذي رماه هو

(١) ابن حجر: الإصابة، ج ٥، ص ٤٠.

(٢) البلاذري: ج ١١، ص ١٣٧.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ج ٥، ص ٤٠.

(٤) الواقدي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٧.

ابن قمئة وقيل بل عتبة ابن أبي وقاص^(١)، والصواب أنهما الاثنان حاولا قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - أما عتبة بن أبي وقاص ، فقد رمى النبي - صلى الله عليه وسلم - بأربعة أحجار فكسر حجر منها رباعية النبي اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى^(٢)، أما عبدالله بن قمئة فقد شج وجنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجته وعلاه بالسيف وكان عليه درعان فوق - صلى الله عليه وسلم - فى حفرة أمامه على جيشه وهو من الحفر التى عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون وأغمى عليه - صلى الله عليه وسلم - فأخذ على بن أبي طالب بيده ورفع طلحة حتى استوى قائماً^(٣)، ويقال أن أبى قمئة لما رمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقمأك الله، فسلط الله تعالى عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة^(٤).

(١) موسى بن عقبة: المغازى ، جمع وتحقيق/ محمد باقشيش ، المغرب ، ١٩٩٤م ، ص ١٩١ ؛ البيهقي: دلائل النبوة، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الريان، القاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ج ٣ ص ٢١٥ .

(٢) الشامى: المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٩٤ .

(٣) الشامى: المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٤) القسطلانى: المواهب اللدنية ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

كما قام عبد الله بن شهاب الزهري بشجح النبي - صلى الله عليه وسلم - في وجهه وسال الدم من الشجوة^(١) أما أبي بن خلف فقد حاول قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خدشه بحرته خدشاً غير كبير، فقال: قتلني والله محمد، فمات بسرف وهم قافلون إلى مكة^(٢) ويقال إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقتل أحداً إلا أبي بن خلف.

ويقال أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما تفرق عنه أصحابه تقدمت إليه كتيبة من بني عبد مناة بن كنانة الأحابيش فيها ما يقرب من خمسين فارساً فيها بنو سفيان بن عويف، وهم: خالد بن سفيان وأبو الشعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان وعراب بن سفيان فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا على أكفنى هذه الكتيبة فحمل عليها وهو راجل على قدميه فما زال يضربها بالسيف حتى تفرق عنه ثم تجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها، ممن لا يعرف بأسمائهم^(٣)، كما قتل الصحابي رشيد الفارسي رجلاً مقنعاً من بني كنانة يقول أنا ابن عويم^(٤) وفي نهج البلاغة ابن عويف^(٥) -

(١) الشامي: ج ٤ ص ٢٩٤.

(٢) ابن حبان: المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٤ ص ٢٥٠.

(٤) الواقدي: ج ١ ص ٢٣٠.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ص ١٥٣٧.

وهو الصواب - فيعرض له سعد مولى حاطب فضربه ضربة جزلة باثنتين، ويقبل عليه رشيد فيضربه علعاتقه فقطع الدرع حتى جزله باثنتين، ثم تقدم أخ له يعدو كأنه يقول: أنا ابن عويم (عويف)، فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه^(١).

وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين، ثم أخذ المشركين يمثلون بقتلى المسلمين، فقامت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجدد الأذان والأنف، وبقرت هند كبد حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها^(٢).

كما قام أبو سفيان بزج رمحه فى شدة حمزة بن عبد المطلب ويقول ذق عتق "أى ذق جزاء خطئك يا عاق"، فمر عليه الحليس بن ديان سيد الأحباش وهو يضرب فى شدة حمزة، فقال: يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحمًا، فقال: ويحك اكتمها عنى فإنها كانت زلة^(٣).

ويقال إن أبا سفيان بعد ما مثل ببعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجد عوا ومنهم من بقر بطنه، فقال أبو

(١) الواقدي: ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) القسطلانى: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٠٥.

(٣) ابن كثير: ج ٤ ص ٤٠.

سفيان: "إنكم ستجدون في قتلاكم بعض المثل فإن ذلك لم يكن عن ذوى رأينا ولا سادتنا" ثم قال أبو سفيان: أغلُّ هبل، فقال عمر بن الخطاب: الله أعلى وأجل^(١).

وهكذا إنتهت معركة أحد ولعب فيها الأحابيش دوراً كبيراً، وقُتل من الأحابيش من قُتل.

أما ما ادعاه لامنس من أن دور الأحابيش في غزوة أحد كان لحراسة المتاع^(٢)، فهو قول غير صحيح، فيكف يقتصر دور الأحابيش في هذه الغزوة على حراسة المتاع وعدم الاشتراك في الحرب بجانب قريش التي كانت تستأجرهم للمحاربة عنهم. كما يدعى. كما أن الأحابيش في تلك الفترة كانوا يقدرون بثلثي جيش المشركين، فقد كانت قواتهم تبلغ ألفين^(٣) - مع التحفظ على قوله بأنهم حبش وهذا غير صحيح -، كما حاول لامنس أيضاً أن يقول بأن مراد الطبري بقوله يوم أحد اجتمعت قريش بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة^(٤) بأن الأحابيش هم من الحبش، وإدعائه هذا ليس له أساس من الصحة.

دور الأحابيش في غزوة حمراء الأسد (٥٣/٦٢٤م) -

(١) الزهرى: المغازى النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١، ص ٧٧، ٧٨.

(٢) لامنس: المرجع السابق، ص ٢٣، ٥٤٦.

(٣) السيوطى: لباب النقول في أسباب النزول، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص ١٥٨.

(٤) لامنس: المرجع السابق، ص ٥٣٤.

لم تكن غزوة أحد آخر المعارك التي وقعت بين المسلمين وقريش ومن معها من الأحابيش، ولم تكن آخر معركة أو حرب يشارك فيها الأحابيش مع قريش ضد المسلمين، ففي اليوم الثاني من وقعة أحد أخذت قريش نشوة الانتصار على جيش المسلمين وقرروا العودة إلى المدينة لإستئصال شأفة المسلمين^(١)، فلما علم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالخبر أمر المسلمين بالتجهيز للخروج، وكان الأمر مقصوراً على من شهد أحد بالأمس، وسار النبي - صلى الله عليه وسلم - مرهبا للعدو حتى بلغ حمراء الأسد، وهو موضع على بعد ثمانية^(٢) وقيل عشرة^(٣) أميال عن يسار الطريق المتجه إلى ذى الحليفة^(٤)، وقد مر النبي - صلى الله عليه وسلم - في طريقه بمعبد بن أبي معيد الخزاعي، وكان مشركاً إلا أنه أبدى أسفه لهزيمة المسلمين يوم أحد^(٥)، لأن أكثر خزاعة مشركها ومسلمها كانوا يتجسسون للنبي - صلى الله عليه وسلم - على ما يحدث في تهامة^(٦) وتذكر بعض المصادر أن معبد قد أخبر قريش بتحرك المسلمين إليهم، ومن المحتمل أن يكون معبد قصد بذلك إخافة قريش والأحابيش من خروج المسلمين لهم ومحاولة إثناء قريش والأحابيش عن

(١) الشامي: ج ٤ ، ص ٤٣٨ .

(٢) البكري: ج ٢ ، ص ١٠٠ ؛ الحموي: ج ٣ ، ص ١٨١ .

(٣) ابن سعد: ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٤) البكري: ج ٢ ، ص ١٠٠ ؛ ابن سعد: ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٥) الواقدي: ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٦) ابن هشام: ج ٣ ، ص ٤٨ . ويستبعد من الذين كانوا عيبة نصح للنبي (صلى الله عليه وسلم) من خزاعة ، بنى المصطلق الذين شاركوا في الحرب ضد المسلمين في أحد وبنى المصطلق .

عزمهم لقتال المسلمين، ولقد كان لإخبار معبد قريشاً خبر خروج المسلمين أن خشية قريش المسلمين فقرروا العودة لمكة قبل أن يلقاهم المسلمين بعد أن نصحهم صفوان ابن أمية بذلك^(١).

أما عن دور الأحابيش في هذه الغزوة فلم تذكر أياً من المصادر التي تم الرجوع إليها ذكراً للأحابيش في هذه الغزوة لكن من المعقول والراجح أن الأحابيش قد ظلوا مع قريش يستمتعون بنصرهم على المسلمين، بالإضافة لعدم استغناء قريش عن الأحابيش الذين كان لهم دوراً كبيراً في إنتصارهم خاصة بعد أن قامت عمرة الحارثية برفع اللواء مما جعل المشركين يعودون إلى المعركة مرة أخرى بعد فرارهم، وقد سجل الصحابي حسان بن ثابت هذا الموقف، معلقاً إنتصار قريش وعدم وقوعهم في الأسر إلى موقف عمرة قائلًا: -

و لولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع
الجلائب^(٢)

كما أن المدة بين انتهاء معركة أحد وخروج النبي -صلى الله عليه وسلم- لملاقاة قريش بحمراء الأسد لم تتجاوز يوماً، وهي فترة قصيرة جداً لا يعقل أن يعود خلالها الأحابيش إلى ديارهم

(١) الواقدى: ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ، ص ١٧٢ .

وهم منهوكون من عناء المعركة، فكانوا يحتاجون فترة ولو يوماً للاستراحة والاحتفال بالنصر قبل العودة إلى ديارهم مرة أخرى.

ولم يحدث اشتباك بين المسلمين وقريش ومن معها من الأحاييش في حمراء الأسد، إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ظفر بأبوعزه الذي خرج إلى الأحاييش بتهامة لتأليبهم على المسلمين، وقد سبق وأن عفا النبي - صلى الله عليه وسلم - عنه ببدر، وحاول أبو عزة أن يستعطف النبي مرة أخرى لكي يعفوا عنه، إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رفض وقال له " إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين " ثم أمر عاصماً بن ثابت بضرب عنقه ففعل^(١).

كما ظفر المسلمون أيضاً أثناء خروجهم بمعاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية فأمر النبي بضرب عنقه، ومعاوية هذا هو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان^(٢)، والذي قتله الزبير بن العوام^(٣).

(١) ابن هشام: ج ٣، ص ١٥٠ الخضرى: الدولة الأموية، ص ١٤٤.

(٢) ابن حزم: جوامع السيرة، ص ١٤١

(٣) ابن هشام: ج ٣ ص ٥٠.

دور الأحباش في غزوة بئر معونة والرجيع وسرية عرنة:-

الأحباش وبئر معونة (٥٤/٦٢٥ م):

لقد كانت هذه الغزوة والرجيع بينهما تشابه سواء في السبب أو وقتها فقد حدثتا في شهر صفر في السنة الرابعة من الهجرة^(١)، لذا نرى أن بعض كتاب السيرة قد انقسموا لقسمين، قسم ذكر أحداث بئر معونة قبل غزوة الرجيع^(٢)، وقسماً آخر ذكر الرجيع قبل بئر معونة^(٣)، ولا شك أن هناك لبساً بين أحداث الغزوتين حتى أنه ليخيل إلى البعض أنهما غزوة واحدة، وسبب اللبس راجعاً إلى التوقيت الذي حدثت فيه الغزوتان وأحداثهما، حتّى النبي -صلى الله عليه وسلم- قد جاءه خبر الغزوتين في ليلة واحدة، وما حدث فيها للصحاب^(٤).

أما بئر معونة فكان سببها أن ملاعب الأسنة أبو براء عامر بن مالك وفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وقرب هدية له، إلا أن النبي رفضها وقال "إنه لا يقبل هدية من مشرك" فعرض عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- الإسلام فرفض أبو براء، إلا أنه كان

(١) الطبري: ج ٢ ص ٩١ ، ٩٥.

(٢) كالواقدي وتلميذه ابن سعد ، وابن حبان.

(٣) كالزهري، ابن هشام ، الطبري ، ابن عبد البر ، الكلاعي ، ابن سيد الناس ، ابن كثير.

(٤) الواقدي: ج ١ ، ص ٢٩٦.

يرى أن أمر النبي حسن شريف، فعرض على النبي أن يرسل إلى قومه دعاة للإسلام، فخاف النبي - صلى الله عليه وسلم - في بداية الأمر أن يرسل أحداً ويتعرض لهم أهل نجد، إلا أن أبا براء قال له لا تخف عليهم إنا لهم جار أن يعرض لهم أحد من أهل نجد^(١)، عندئذ أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - سبعين رجلاً من الأنصار يسمون القراء^(٢) يرى الواقدي أنهم أربعون وليسوا سبعين^(٣) والراجح والله أعلم أنهم سبعون، وكان فيهم الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة^(٤)، وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معهم كتاباً وأمر على أصحابه المنذر بن عمرو والساعدي، فخرجوا حتى كانوا على بئر معونة، وهو ماء من مياه بني سليم، وهو بين أرض بني عامر وبني سليم^(٥).

وعسكر القراء هناك وأرسلوا حرام بن ملحان بكتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى عامر بن الطفيل في رجال بني عامر، فلما دخل عليه حرام بالكتاب لم يقرؤه، ووثب عامر بن الطفيل

(١) الواقدي: ج ١، ص ٢٩٤.

(٢) ابن سعد: ج ٢، ص ٧٠.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٥.

(٤) ابن حزم: ص ١٤٣؛ ابن خلدون: العبر، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ج ٢،

ص ٤٣٨.

(٥) البكري: ج ٤، ص ١٠٦.

على حرام فقتله، ثم استصرخ على باقى القراء بني عامر، فأبوا أن ينفروا معه، فاستصرخ عليهم عصية ورعلاً وذكوان من بني سليم^(١) وكانت رعل من الأحابيش^(٢) فنفروا معه، ويعترض أحد الباحثين على أن تكون رعل من الأحابيش^(٣)، وقال أنه من المحتمل أن يكون اسم رعل محرفاً عن عضل من بني الهون الأحابيش، وقد سار على رأى هذا الباحث باحثاً آخر^(٤) لكن ليس لديهم أى دليل لقولهم هذا، ولو كان الفاكهي غير موفق فى ذكر رعل ضمن قبائل الأحابيش أو يكون محرفاً عن عضل، لتنبه إلى ذلك من أخذ عنه، وبينوا هذا الخطأ.

وعلى كل حال لما استصرخ عامر بن الطفيل برعل وذكوان وعصية خرجوا لقتال القراء، فحدث بينهم قتال واستشهد القراء السبعون^(٥)، ولقد بلغ من هول هذه الفاجعة أن نزل قرآن فى شأن أصحاب بئر معونة " بلغوا قومنا، فقد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه"^(٦)، ثم رفع الله هذه الآية، وليست هذه الآية الوحيدة التى أنزلها الله قرآناً ثم رفعها، فهناك عدة آيات أنزلها الله عز وجل ثم

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٢ ص ٤٣٨.

(٢) الفاكهي: ج ٥، ص ١٨٢.

(٣) عبد الله الشريف: الأحابيش، ص ٣.

(٤) على حسن: دراسة لمواقف الأحابيش، ص ٥٤ - ٥٥.

(٥) الواقدي: ج ١ ص ٢٩٧.

(٦) البخارى: حديث رقم ٤٠٩٥.

رفعها مرة أخرى مثل حذف آية الرجم من القرآن لفظاً، لكن حكمها ثابت بالإجماع^(١)، ويشهد بذلك قول عمر بن الخطاب: "إن الله بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها..."^(٢)، وهذه الآية كانت تقول "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"^(٣)، ولقد قنت النبي - صلى الله عليه وسلم - شهراً يدعو على لحيان ورعل وذكوان وعصية^(٤)، وقيل قنت عليهم خمسة عشر يوماً^(٥)، والصواب ثلاثون وهو ما ذكره أكثر أهل الحديث والسير والتاريخ ولا شك أن هذه الفاجعة كانت كبيرة، إلا أنه لم يكن كل الأحابيش قد شارك فيها.

الأحابيش وغزوة الرجيع (٤هـ / ٦٢٥ م):

كانت هذه الغزوة في صفر ٤هـ، وكان سببها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد علم أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي قد خرج لقتال المسلمين وكان معه الأحابيش، يمشون وراءه^(٦)، ولقد علق

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ص ٧٤.

(٢) البخاري: حديث رقم ٦٨٣٠.

(٣) ابن الجوزي: صيد الخاطر، هامش رقم، ص ٧٥.

(٤) النسائي: السنن، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٩م، حديث رقم ١٠٧٠، النووي: حديث رقم

٦٠٧٥.

(٥) الواقدي: ج ١، ٢٩٤.

(٦) ابن سعد: ج ٢، ص ٦٨.

هنرى لامنس على هذا الخبر بأن المقصود بالأحابيش هم سودان أفريقية وليسوا من العرب أحلاف قريش^(١)، ولا شك أن هذا الادعاء ليس له أساس من الصحة، خاصة إذا علمنا أن هذيلاً كانت يداً مع قريش والأحابيش^(٢)، كما أنه لم يقل بما قاله لامنس أى من علماء المسلمون ولا غيرهم قديماً أو حديثاً.

ولما علم النبي - صلى الله عليه وسلم - بتحريك سفيان الهذلي ومن معه من الأحابيش انتدب عبد الله بن أنيس ليقتله، وأمره أن يتسبب لخزاعة، وخرج عبد الله بن أنيس وعرف سفيان من الوصف الذى وصفه النبي لعبد الله وانتسب لخزاعه، ومكث بعرنة وهى من ديار هذيل^(٣)، حيث لقي سفيان ووراءه الأحابيش، فانتظر عبد الله هدوء الليل ونوم أصحاب سفيان، فقام عبد الله بقتله^(٤)، وكان ذلك فى شهر المحرم^(٥).

فلما قتل سفيان الهذلي مشت بنو لحيان الهذليين إلى عضل والقارة الأحابيش فجعلوا لهم جعلاً على أن يأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - ويكلموه أن يخرج إليهم نفرأ من أصحابه

(١) الأحابيش ، ص ٩ .

(٢) الفاسى: تحفة الكرام ، ورقة ٢٠٣ ب ؛ شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١١٧ .

(٣) الهمذاني: صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٨ .

(٤) ابن سعد: ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٥) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج ٢ ، ص ٥٩ .

يدعونهم إلى الإسلام، وعندئذ يقتل الهذليين من سيرسلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ويذهبون ببعضهم لقريش ليقتلونهم انتقاماً بما قتل منها يوم بدر، ولما جاء وفد من عضل والقارة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولينفذوا ما اتفقوا عليه مع بني لحيان بعث معهم النبي - صلى الله عليه وسلم - سبعة نفر^(١) وقيل ستة رجال^(٢) وقيل عشرة^(٣) والراجح أنهم سبعة وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان أميرهم وخالد بن أبي البكير وعبد الله بن طارق البلوي وأخيه لأمه معتب بن عبيد، وخبيب بن عدى بن بلحارث بن الخزرج وزيد بن الدثنة من بني بياضة وعاصم ابن ثابت بن أبي الأقلح^(٤).

ويقال أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بعثهم عيناً له^(٥) ويمكن الجمع بين القولين بأن وفد عضل والقارة جاء للنبي - صلى الله عليه وسلم - يطلبون منه إرسال من يعلمهم الإسلام، ونقل أخبار هذه المنطقة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ويستطلع رغبتهم في الإسلام حقاً أم إن ذلك كان مكيدة.

(١) الواقدي: ج ١ ص ٣٠٠.

(٢) ابن حزم: ص ١٤١.

(٣) الواقدي: ج ١، ص ٣٠١.

(٤) الواقدي: ج ١، ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٥) الزهري: المغازي، ص ٦٧.

ولما خرج الوفد الذى أرسله النبي - صلى الله عليه وسلم - لديار عضل والقارة، ولما وصلوا ماء الرجيع وكان ماءً لهذيل استصرخ عليهم أصحابهم الذين بعثهم اللحيانيون، فلم يرع أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا بالقوم مائة رام وفى أيديهم السيوف^(١) فما كان من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا أن لجئوا إلى منطقة مرتفعة من الأرض، فحاصروهم القوم، فقالوا لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلاً، إلا أن عاصم بن ثابت رفعه وقاتل حتى قتل، ولم يبق على قيد الحياة إلا خبيب بن عدى وزيد بن دثنة تم بيعهم بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله، وعندما جاء وقت قتله طلب أن يصلى ركعتين، فكان هو أول من صلى ركعتين عند القتل ثم قال اللهم أحصهم عدداً ثم قام إليه عقبه بن الحارث فقتله^(٢)، وكان من الذين حضروا هذا المشهد من الأحباش نوفل بن معاوية الديلي فقال:-

" حضرت يوماً دعوة خبيب، فما كنت أرى أن أحداً ممن حضر يتفلت من دعوته، ولقد كنت قائماً فأخلدت إلى الأرض

(١) الواقدي: ج ١ ص ٣٠١.

(٢) الزهري: المصدر السابق، ص ٦٧ - ٦٨.

فرقاً من دعوته، ولقد مكثت قريش شهراً أو أكثر وما لها حديث في أُنديتها إلا دعوة خبيب"^(١).

ولقد نقل جبريل - عليه السلام - خبر موت خبيب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان خبر أحداث بئر معونة والرجيع جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في ليلة واحدة فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قتلهم بعد الركعة من الصبح في صبح تلك الليلة التي جاءه الخبر، فلما قال: "سمع الله لمن حمده" قال:

" اللهم اشدد وطأتك على مُضْرأ، اللهم عليك بيني لحيان وزعب ورعل وذكوان وعصية، فإنهم عصوا الله ورسوله، اللهم عليك بيني لحيان وعضل والقارة"^(٢) وظل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقنت

في الدعاء شهراً"^(٣)، وقيل خمسة عشر يوماً ويقال أربعين يوماً"^(٤)، والصحيح أنه شهراً، حتى نزلت هذه الآية: " ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم "

(١) الواقدي: ج ١ ص ٣٠٥.

(٢) الواقدي: ج ١، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٣) النووي: شرح صحيح مسلم، حديث رقم ٦٧٥.

(٤) الواقدي: ج ١، ص ٢٩٧.

الأحابيش و غزوة بدر الموعد (الأخرى) (٤٤٦/هـ):-

كان أبو سفيان يوم أحد عند منصرفه نادى على المسلمون يتوعدهم بالحرب فى بدر على رأس الحول من أحد، وقد خرج بالفعل ليفي بكلامه، وقام يجمع العرب للوقوف معه فى هذه الحرب، وبلغت قواته فيها ألفي رجل^(١) وعلى الرغم من ذكر اسم الأحابيش فى هذه الغزوة، إلا أنه من غير المستبعد أن يكون الأحابيش، ضمن هذه القوات التى خرج أبو سفيان لدعوة العرب للاشتراك فيها، كما أن الأحابيش كانوا مع قريش فى أحد مما يدعم هذا الرأى، لكن بعد أن خرج أبو سفيان ومن معه فرد العودة مرة أخرى ولم يحارب بحجة أن العام عام جذب^(٢).

دور الأحابيش فى غزوة الخندق (الأحزاب) (٤٥٧/هـ):-

قيل إنها سنة خمس للهجرة^(٣)، وقيل أنها فى سنة أربع^(٤)، وقد رجح بعض العلماء أنها سنة أربع واحتجوا فى ذلك بقول ابن عمر -رضي الله عنهما- "ردنى رسول الله يوم أحد وأنا ابن خمس

(١) ابن سعد: ج ٢، ص ٨٣.

(٢) ابن حزم: ص ١٤٧.

(٣) ابن هشام: ج ٣، ص ١٢٩؛ الطبرى: ج ٢، ص ١٠٦.

(٤) موسى بن عقبة: ص ٢١٤؛ ابن حزم: ص ١٤٨؛ ابن خلدون: ج ٢، ص ٤٤٠.

عشرة سنة"^(١) وقد صحح أن بين أحد والخندق عام واحد، هكذا دون بعض أهل العلم من علماء التاريخ والسيرة^(٢)، إلا أن البعض ذكر أن وقعة الأحزاب كانت بعد وقعة أحد بستين^(٣)، ولقد تعرض بعض العلماء لهذا الخلاف، أمثال البيهقي الذي خصص باباً في دلائل النبوة تحت عنوان باب التاريخ لغزوة الخندق " تعرض فيه للآراء والخلافات بين العلماء حول تحديد تاريخ غزوة الأحزاب (الخندق)، كما ذكر ابن كثير والشامي والقسطلاني وغيرهم لهذا الخلاف، وقد خرجوا إلى أنه لا خلاف بين العلماء في تحديد سنة الغزوة وعُمَر ابن عُمَر يوم الخندق، سواء في قول من قال إنها كانت في العام الرابع، ومن قال أنها كانت في العام الخامس للهجرة وذلك لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتل يوم بدر بسنة ونصف من مقدمه المدينة في شهر رمضان، ثم قاتل يوم أحد في السنة القابلة الستين ونصف من قدومه المدينة في شوال، ثم قاتل يوم الخندق بعد أحد بستين على رأس أربع سنين ونصف من مقدمة المدينة فمن قال أن الخندق سنة أربع أراد بعد أربع سنين وقبل بلوغ الخمس، ومن قال سنة خمس أراد بعد

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،

١٩٩٩، ج ٣، ص ٣٦٣.

(٢) موسى بن عقبة: ص ١٢٤؛ ابن خلدون: ج ٢، ص ٤٤٠.

(٣) الزهري: ص ٧٩.

الدخول في السنة الخامسة وقبل انقضائها^(١)، وقد كان الخلاف يرجع أساساً إلى اختلاف البعض في تحديد بداية السنة الهجرية، ذهب البعض إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية للهجرة، ولم يعد الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها^(٢).

أما إحتجاج البعض بعُمر ابن عمر في أحد ومقارنته بعمره في الخندق من أنه عرض على النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه للقتال، ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه^(٣)، فقد أجاب عنه بعض العلماء، بأنه عرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة^(٤)، وهو السن الذي يجاز لمثلها الغلمان وهو السن الذي يفرق بين الصغير والكبير^(٥).

وأما الشهر الذي كان فيه هذه المعركة فكانت في شوال، وسببها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أجلى بني النضير، خرج نفر من اليهود فيهم حيي بن أخطب وهوذة بن قيس الوائلي،

(١) البيهقي: ج ٣ ص ٣٩٥.

(٢) ابن كثير: ج ٤، ص ٩٥.

(٣) البخاري: حديث رقم ٤٠٩٧.

(٤) ابن القيم: زاد الميعاد، ج ٢ ص ١٦١.

(٥) ابن كثير: ج ٤ ص ٩٦.

وكنانة بن الربيع النضرى فى نفر من بني النضير وبني وائل وأتوا قريشاً بمكة يدعونهم إلى حرب النبي - صلى الله عليه وسلم - وقالوا لقريش: " إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ومن معه ^(١)، وقالوا لقريش أن دين قريش خير من دين محمد وأنهم أولى بالحق من محمد - صلى الله عليه وسلم - فقريش هى التى تنحر الكوم وتسقى الحجيج ويعظمون البيت ويعبدون الأصنام التى كان يعبدها آباؤهم ^(٢).

ولقد شجع ذلك قريش على الخروج لجمع الأحباش وغيرهم من العرب لمحاربة المسلمون، ومن الذين دعتهم قريش للتكتل ضد المسلمون غطفان وأشجع ^(٣) والأحباش، وغيرهم من العرب واليهود.

أما عن سبب تسمية هذه الغزوة باسم الخندق والأحزاب، أما الخندق فنسبة إلى الخندق الذى أشار به الصحابي سلمان الفارسي بحفره حول المدينة، على غرار الخنادق التى كانت تضربها الفرس حول نفسها إذا تعرضت للحصار ^(٤)، وقد أخذ هذا الخندق فى الاندثار شيئاً فشيئاً، فقد أصبح فى فترة من الزمن

(١) ابن حبان: ص ١٨٨.

(٢) الواقدي: ج ١ ص ٣٨٠.

(٣) ابن حبان: ص ١٨٩.

(٤) القسطلاني: ج ١ ص ٤٤٦، والخندق أول غزوة غزاها سلمان الفارسي (رضي الله عنه) - ابن

الجوزي: صفة الصفوة، ج ١، ص ١٩٩.

عبارة عن قناة تأتي من عين بقباء إلى النخل الذي بأسفل المدينة بالسيح حول مسجد الفتح، وقد إنظم أثره وتهدمت حيطانه، ثم عفى أثر الخندق فصار مسيله فى موضع الخندق، ولم يتبق من آثاره إلا بواقى لجداره رآه المرجاني فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة من الهجرة قد أراه والده إياه^(١)، إلا أن الفاسى وهو من الذين جاءوا بعد المرجاني ذكر أن الخندق قد ظل باقياً حتى عصره، وفيه قناة تأتي عيناً بقباء إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حول مسجد الفتح، وفى الخندق نخل قد أنظم أكثره وتهدمت حيطانه^(٢)، وقد استغرق حفر الخندق ما بين خمسة عشر يوماً إلى شهر على خلاف بين العلماء.

أما عن تسميتها بالأحزاب، فذلك يرجع إلى تجمع أحزاب أو طوائف اليهود والمشركين على حرب المسلمين من قريش وغطفان واليهود ومن معهم^(٣)، وكان عدتهم ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل^(٤) أما المسلمون فكانوا حينها ما يقرب من ثلاثة آلاف^(٥)، وهناك من قال أنهم سبعمائة وهذا وهم^(٦).

(١) المرجاني: بهجة النفوس والأسرار، مكتبة نزار مصطفى، الرياض، ط ١٩٩٨م، ج ١ ص ١٧٠.

(٢) الفاسى: شفاء الغرام ج ٢ ص ٤١٦.

(٣) القسطلانى: ج ١ ص ٤٤٦.

(٤) ابن هشام: ج ٣ ص ١٣٣.

(٥) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٣٣.

(٦) الشامى: ج ٤، ص ٥٢٤.

سيكون الحديث في هذه الغزوة عن تحرك قريش والأحابيش ومن معهم إلى المدينة، ثم دور الأحابيش في هذه الغزوة، فقد خرج اليهود إلى غطفان ليدعوهم إلى حرب رسول الله وجعلوا لهم تمر خبير سنة إن هم نصرورهم، وأخبروهم أن قريشاً قد تابعوهم على ذلك وإجتمعوا معهم فسي الخروج لحرب المسلمين^(١) كما خرجت جماعة أخرى من اليهود إلى بني سليم، فوعدتهم بني سليم أن يخرجوا معهم إذا سارت قريش^(٢)، كما أخذت قريش في التجهيز وسيرت دعواتها في العرب تدعوهم إلى نصرها وألبوا أحابيشهم ومن تبعهم^(٣)، كما سار حيي بن أخطب النضرى إلى كعب بن أسد القرظي الذي كان في عهد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان قد تم إبرام عقد للصالح بين بني قريظة وبين المسلمين إلا أن حيي ظل وراء كعب بن أسد حتى جعله يبرأ من العهد الذي أبرمه مع النبي^(٤)، كما خرجت بنو سليم وبنو أسد بن خزيمة وبنو فزارة وأشجع وبنو مرة للاشتراك في هذا التحالف ضد المسلمين^(٥).

(١) الواقدي: ج ١، ص ٣٨٠؛ الشامي: ج ٤، ص ٥١٣.

(٢) الواقدي: ج ١ ص ٣٨٠.

(٣) الواقدي: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٨٠.

(٤) ابن هشام: ج ٣ ص ١٣٤.

(٥) الشامي: ج ٤ ص ٥١٣ - ٥١٤.

وعقدت قريش والأحبابيش اللواء في دار الندوة وخرجوا في أربعة آلاف وحمل اللواء عثمان بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرد وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وهناك روايات تذكر أن قريشاً والأحبابيش ومن معهم خرجوا في عشرة آلاف غير قوات القبائل الأخرى، وهذا غلط، لكن الصواب أن قوات قريش والأحبابيش وحدها أربعة آلاف، بالإضافة إلى ستة آلاف من باقي القبائل فيكون عدتهم جميعاً عشرة آلاف، وأسندت القيادة لأبي سفيان^(١)، ولحققت بهم بنو سليم بمر الظهران في سبعمائة مقاتل بقيادة سفيان بن عبد شمس^(٢)، وتجهزت كل قبيلة والأحبابيش برومة من وادي العقيق^(٣) كما خرجت بنو أسد، وقائدها طلحة بن خويلد الأسدي، وخرجت أشجع وقائدها مسعود بن ربيعة في أربعمائة مقاتل، وخرج بنو مرة في أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف^(٤)، ونزلت بنو أسد وغطفان ومن تبعهما من أهل نجد ما بين طرق وادي النقيمي إلى أحد^(٥)، كما جاء اليهود من أسفل المدينة،

(٢) ابن سيد الناس: ج ٢ ص ٨٦.

(٢) الخزرجي: التعريف بما آنت الهجرة، مخطوط بدار المخطوطات، القاهرة، ورقة ٣٩ أ.

(٤) الواقدي: ج ١ ص ٣٨٠.

(٥) المرجاني: المصدر السابق، ج ١ ص ١٦٨؛ الخزرجي: التعريف، ورقة ٣٩.

وقد سجل القرآن الكريم هذا التحرك، قال تعالى: (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم)^(١).

وكان وصول والأحابيش وبقاالعرب بعد الانتهاء من حفر الخندق^(٢).

وأثناء حصار المدينة أرسل حيي بن أخطب إلى قريش لكي يرسلوا منهم ألف رجل ومن غطفان ألف رجل ليغيروا بهم على المدينة^(٣)، إلا أن هذا الأمر على ما يبدو لم يتم، ولو تم لاشترك الأحابيش في الألف رجل الذين طلب حيي من قريش أن يرسلهم، وكان يتم تراشق بالنبل بين الفريقان^(٤) حيث إن قريشاً ومن معها لم يستطيعوا عبور الخندق، حيث لم يعرف العرب هذا النوع من أسلوب الحرب في الحروب التي خاضوها قبل ذلك وأرى أن الأحابيش كانوا من المشاركين في التراشق بالنبل قبل أن يحاول المشركين إقتحام الخندق، لأنه كان هناك ذكر لرماة الحدق من بني كنانة في هذه الغزوة^(٥)، ورماة الحدق هم القارة، وكان من ضمن شهداء المسلمون يوم الخندق الصحابي كعب بن زيد

(١) سورة الأحزاب: ١٠.

(٢) الفسطاني: ج ١ ص ٤٥٢.

(٣) الواقدي: ج ١ ص ٣٩٣.

(٤) ابن حبان: ص ١٩٠.

(٥) الشامي: ج ٤ ص ٥٤٨.

(١٠) الميداني: ج ٢ ص ١٢١.

البخارى من الأنصار، فيذكر ابن هشام أنه قُتل بسهم غريب لم يعرف من أين جاء ولا من رمى به^(١)، ولكن بالتنقيب حول هذه الحادثة تبين أن الذى قتل كعب ابن زيد هو ربيعة بن أمية بن صخر بن يعمر بن نفاثة الديلي^(٢).

وبنو نفاثة بن الدليل كما سبق القول مراراً من الأحباش كما أن سيدهم نوفل بن معاوية الديلي كان من المشاركين فى هذه المعركة وهو أحد رؤساء الأحزاب الذين خرجوا للطواف حول الخندق لاستكشافه كأبى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وخالد بن الوليد^(٣)، وعمرو بن عبد ود فارس الجزيرة العربية الذى كان يُقَوِّم بألف رجل عند أصحابه وعند أعدائه، وقد استطاع أن يعبر الخندق فبارزه على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - فقتله بضربه على عاتقه بسيفه^(٤)، وكان من الأشعار التى قيلت فى الخندق، والتى جاء فيها ذكر عضل والقارة الأحباش:

اللهم ألعن عضلاً والقارة
فهم كلفونى أنقل الحجارة

(١) ابن هشام: ج ٣ ص ١٥٧.

(٢) البلاذرى: ج ١١، ص ١٠٧.

(٣) الواقدي: ج ١، ص ٤٠٠ - ٤٠١.

(٤) العقاد: عبقرية الإمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ٩.

(٤) الواقدي: ج ١ ص ٣٨٨.

مما يستفاد منه اشتراك عضل والقارة رماة الخندق في هذه المعركة بالإضافة إلى التنديد بما فعلوه من قبل من قتل المسلمون في حادثة الرجيع، كما إستخدم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة - رضى الله عنهما - اسم عضل والقارة " ككلمة سر لإعلام النبي -صلى الله عليه وسلم- بنقض كعب بن أسد العهد الذي بينه وبين المسلمين " فعندما تأكدا من خبر نقضه العهد أقبلوا على النبي فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع^(٥).

هذا وقد مكث الأحباش وقريش ومن معهم خارج المدينة، وفشلت محاولتهم لاقتحام الخندق، ونجح النبي -صلى الله عليه وسلم- في استمالة عيينة بن حصن الفزاري سيد غطفان في أن ينسحب بعساكره مقابل نصف ثمار الأنصار^(١).

أما الأحباش وقريش ومن معها دون غطفان ظلوا على مكانهم حتى أرسل اللهم عليهم ريحاً هتكت القباب وكفأت القدور ودفنت الرجال وقطعت الأوتاد، فأنطلقوا لا يلوى أحد على أحد^(٢).

(١) الزهري: ص ٧٩.

(٢) ابن سعد: ج ٢، ص ١٠١.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)^(١)، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال: " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور"^(٢).

دور الأحباش في غزوة الحديبية (٦ هـ/٦٢٨ م):

فى شهر ذي القعدة قرر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يخرج للعمرة، واستنفر أصحابه للخروج معه ، فأسرعوا وتهيئوا لذلك^(٣). وقد اختلف في عدد الصحابة الذين خرجوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، ف قيل ألف وستمائة وقيل ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وخمسة عشرة، ويقال ألف وثلثمائة^(٤) وقيل سبعمائة^(٥)، واستدل أصحاب هذا الرأي بنحر المسلمين كل بدنة عن عشرة نفر، وكان مع المسلمين عند خروجهم من الهدى سبعون بدنة^(٦)، لكن رجح البعض أن عدة الذين خرجوا كانوا ألفاً وأربعمائة، وذلك لاتفاق رأى خمسة من الصحابة وهم جابر بن عبد الله والبراء بن عازب ومعقل بن يسار وسلمة بن الأكوع

(١) ورة الأحزاب الآية ٩.

(٢) البخاري: حديث رقم ٤١٠٥.

(٣) ابن سعد: ج ٢، ص ١٣٥.

(٤) المقرئى: إمتاع الأسماع، ج ١ ص ٢١٤.

(٥) ابن هشام: ج ٣، ص ١٩٧.

(٦) اليعقوبى: ج ٢، ص ٣٥.

والمسيب بن حزن، وهم من الشهود العيان الذين خرجوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديبية^(١).

وبذي الحليفة قَلد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الهدى وأشعره^(٢) وأمر الصحابة بالإحرام بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له^(٣)، وأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - بسرأ بن سفيان الخزاعي ليستطلع أخبار مكة^(٤).

ويقال إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يمر بالأعراب فيما بين مكة والمدينة فيسفرهم فيتشاغلون له بأموالهم وأبنائهم، وهم بنو بكر ومزينة وجهينة، فيقولون فيما بينهم: "أريد محمد يغزو بنا إلى قوم معدين مؤيدين في الكراع والسلاح؟، وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً، قوم لا سلاح معهم ولا عدد، وإنما يقدم على قوم حديث

(١) العمري: السيرة النبوية، ج ٢ ص ٤٣٥.

(٢) أشعره أى وخذ سنامه حتى يسيل الدم فيعلم أنه هدى، وقد اختلف في ذلك فالتخفى وأهل الكوف يقولون: إن الإشعار منسوخ بنهيه (صلى الله عليه وسلم) عن المثلة، ويقال إن النهي عن المثلة كان إثر غزوة أحد فلا يكون الناسخ متقدماً على المنسوخ. السهيلي: ج ٤ ص ٤٠؛ الشامي: ج ٥ ص ١٢٨.

(٣) الزهري: ص ٥٠.

(٤) ابن سعد: ج ٢ ص ١٣٦ و قيل اسمه بشر بالشين. الشامي: ج ٥ ص ٦٠.

عهدهم بمن أجيب منهم ببدر^(١)، ويرى الباحث أن هذا الخبر غير صحيح لأن بني بكر كانوا مشركين وقتئذ، فكيف يستنفرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - للقتال وهم مشركون؟ كما أنهم قالوا إن محمد وأصحابه ليس معهم سلاح، فغلط لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه قد خرجوا ومعهم سيوفهم وضعوها في أغمادها^(٢)، وإن صح هذا الخبر ودعا النبي هؤلاء القوم إلى شيء، فأرى إنما دعاهم للإسلام، كما دعا جماعة من نهد أثناء مسيرة إلى الإسلام^(٣)، بالإضافة إلى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد خرج معتمراً ولم يخرج للقتال، أما عن حملهم السيوف فهو للتحرز والحيطه من وقوع أى هجوم مفاجئ ومحتمل من المشركين.

وبعد فترة رجع بسر بن سفيان إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبره بعلم قريش بتحرك المسلمين وخروجهم، ويروى عن بسر (بشر) كيفية علم قريش بخروج المسلمين، فقد كان بسر يطوف بالبيت وقريش فى أنديتها، إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبى قبيس ليلة أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمسير، بصوت أسمع أهل مكة:

(١) الواقدي: ج ٢، ص ٧٢.

(٢) ابن سعد: ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) الواقدي: ج ٢، ص ٧٢؛ الشامي، ج ٥، ص ٥٧.

هبوا لصاحبكم مثلى صحابته سيروا إليه وكونوا معشراً كراما
بعد الطواف وبعد السعي في مهل وأن يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوهكم من معشر تكل لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما

فارتجت مكة، واجتمع المشركون، وتعاقدوا ألا يدخل عليهم بمكة في عامهم هذا، ولما بلغ بشر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك الخبر، قال إن هذا الهاتف "سلفع شيطان الأصنام" يوشك أن يقتله الله تعالى إن شاء الله عز وجل^(١).

ويبدو أن المقصود من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - عن سلفع - إن صح هذا الخبر - يوشك أن يقتله الله، إشارة وبشارة بقرب فتح مكة وهدم الأصنام وسيادة الإسلام والتوحيد في ربوع شبه الجزيرة العربية وما حولها.

ولما علمت قريش اجتمع رأيها على عدم السماح لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه بدخول مكة معتمرين، فتعيرهم العرب أنه قد دخل عليهم عنوة^(١) فقرروا جمع الأحابيش والتهيؤ

(١) الشامي: ج ٥، ص ٦٠.

(١) الشامي: السابق، ج ٥ ص ٦١.

(١) الزهري: المصدر السابق ص ٥٠.

(١) جمع عائذ وهي الناقة التي معها ولدها، ويريد بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمد وأصحابه في زعمهم. السهيلي: ج ٤ ص ٤١.

(١) أي أظهروا العدواة والحقد. ج ٣، ص ١٤.

(١) الواقدي: ج ٢، ص ٧٥.

لحرب المسلمين، وكان اجتماع رأى قريش والأحاييش والتهيو
 لحرب المسلمين وبسرين أبى سفيان بمكة قبل أن يرجع للنبي
 صلى الله عليه وسلم ويلقاه فى غدير الأشطاط بالقرب من
 عسفان^(٢)، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا بسر ما
 وراءك؟ قال: يا رسول الله تركت قومك كعب بن لؤى وعامر بن
 لؤى، قد سمعوا بمسيرك ففزعوا، وهابوا أن تدخل عليهم عنوة،
 وقد استنفروا لك الأحاييش، ومن أطاعهم معهم العوذ
 المطافيل^(٣) قد لبسوا لك جلد النمر^(٤) ليصدوك عن المسجد
 الحرام، وقد خرجوا إلى بلدح وضربوا بها الأبنية وتركت عمّادهم
 يطعمون الجزر أحاييشهم، ومن ضوى إليهم فى دورهم وقدموا
 الخيل عليها خالد بن الوليد مائتى فارس، وهذه خيلهم بالغميم،
 وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الأرصا^(٥).

وفى رواية أن بديلاً بن ورقاء الخزاعى ومعه جماعة من خزاعة
 وكانوا موضع سر ونصح للنبي صلى الله عليه وسلم وبينهما
 ثقة متبادلة على الرغم من ترك خزاعة آنذاك وأعلموا النبي -
 صلى الله عليه وسلم - أن قومه من كعب بن لؤى وعامر بن لؤى
 قد استنفروا الأحاييش ومن أطاعهم ومعهم العوذ والمطافيل
 والنساء والصبيان يقسمون بالله لا يخلو من بين المسلمين وبين
 البيت حتى يبيدوا دهماءهم وسوادهم فقال لهم النبي - صلى الله
 عليه وسلم - لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف به البيت فمن

صدنا عنه قاتلناه^(١) ويقال أن الحليس بن علقمة سيد الأحابيش كان معهم^(٢)

ولا يوجد تعارض بين هذا الخبر وخبر تبليغ بسر بن سفيان تحرك قريش والأحابيش للنبي صلى الله عليه وسلم. لأن بسر قد علم بقيام قريش والأحابيش قبل تحركهم، أما بديل بن ورقاء فقد نقل الخبر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد تحرك قريش والأحابيش بالفعل.

على كل حال لما وصل النبي - صلى الله عليه وسلم - الغميم تشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال " أما بعد فإن قريشاً قد جمعت أحابيشها تطعمهم الخزير يريدون أن يصدونا عن البيت فأشيروا على ما ترون أترون أن نعمد إلى الرأس - يعنى مكة - أو نعمد إلى الذين أعانوهم - أي الاحابيش وثقيف - فنخالفهم إلى نسائهم وصبيانهم فإن جلسوا جلسوا مهزومين موتورين وإن طلبونا طلبوا طلباً مدانياً ضعيفاً فأخزاهم الله^(٣) وهنا أدلى بعض الصحابة بأدائهم ومشورتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم -، فأبو بكر - رضى الله عنه - رأى أن يتجهوا إلى مكة، أما المقداد بن الأسود فقال: إنا والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لنيها " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون " ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم

— حتى إذا غش الحرم ودخل حدود الحرم بركت ناقته الجداء فقال الناس خلأت^(١).

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما خلأت وما الخلاء بعادتها ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش إلى تعظيم المحارم فيسبقوني إليه، هلموا ههنا لأصحابه، وأخذ ذات اليمين فسلك ثنية تدعى ذات الحنظل حتى هبط على الحديبية^(١٥).

أما عن دور الأحباش في هذه الغزوة، فكما سبق القول كانت قوة الأحباش هي القوة الرئيسية التي تلجأ إليها قريش في حروبها والأمور العصبية التي تواجه قريش، لذا لم تكذ تسمع قريش عن

(١) ابن سعد: ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(١) المقرئ: امتاع الأسماع: ج ١ ، ص ٢١٦ .

(١) أى أن المقصود بهؤلاء أعانوهم الأحباش وثقيف .

(١) أبى يوسف: الخراج ، تحقيق / طه عبد الرؤف، المكتبة الأزهرية، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٢٢٧ .

(١) أبى يوسف: الخراج ، ص ٢٢٧ .

(١) المصدر السابق: ج ٢ ، ص ٧٧ .

(١) ابن ماكولا: الإكمال ج ٢ ، ص ٤٩٧ .

(١) الواقدي: ج ٢ ص ٧٥ .

(١) المجلس فى كنانة بن خزيمة ، وهو ابن نفاثة بن عدى بن الدليل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ،

ابن حبيب: المؤلف والمختلف ص ٨٧ .

(١) أبى يوسف: المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(١) الواقدي: ج ٢ ، ص ٨٩ .

تحرك المسلمين إلى مكة حتى استنفرت الأحباش^(١)، وجمعت قريش الأموال لتجهيز الطعام للأحباش القادمين للوقوف بجانب قريش وكان إطعام المحاربين في هذه الغزوة كان يتم في خمسة أماكن وذلك قبل التحرك لملاقاة المسلمين خارج مكة، فكان يتم الإطعام في دار لندوة وفي دار صفوان بن أمية وفي دار سهيل بن عمرو ودار عكرمة بن أبي جهل ودار حويطب بن عبد العزى^(٢).

وكان الأحباش يومئذ تحت رئاسة الحليس بن علقمة بن عمرو ابن الأوقح بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة^(٣)، وقد كان للحليس هذا موقف مشهود يوم الحديبية، فعندما أرادت قريش أن تتفاوض مع المسلمين أرسلت عدة وفود كان أحدهم الحليس بن علقمة، وقد أظهر هذا الموقف مدى أهمية وعظم شأن الأحباش، وتفصيل ذلك أن قريش قد أرسلت عروة بن مسعود المالكي ومن بعده مكرز بن الأخيف إلى معسكر المشركين بعثوا الحليس بن علقمة سيد الأحباش، ولما رآه النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "هذا ابن الحليس"^(٤) وهو من قوم يعظمون الهدى فابعثوا له الهدى حتى يراه^(٥).

وهناك رواية أخرى تقول أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "هذا من قوم يعظمون الهدى ويتألهون ابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه"^(١)، ومن المرجح أن الرواية الثانية أدق وأصح خاصة أن المقصود هنا هو الحليس وليس الحلس، والحليس هو من بني الحارث ابن عبد مناة سادة الأحبابيش وليس ابن الحلس بن نفاثة بن الدليل، ولقد كان النبي محققاً فيما قاله وعرف كيف يستثير عواطف الحليس بن علقمة، وذلك يتضح فيما يلي، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أمر أصحابه بترك الهدى يسير أمام الحليس بن علقمة، رأى الحليس هذا الهدى يسيل فى الوادى عليه القلائد قد أكل أوباره يرجع الحنين، كما استقبله القوم فى وجهه يلبون قد أقاموا نصف شهر قد تفلوا وشعثوا، رجع ولم يصل إلى النبي إعظاماً لما رأى، فلما رجع الحليس إلى قريش ولم يصل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لهم: "إنى قد رأيت ما لا يحل صده، رأيت الهدى فى قلائده قد أكل أوباده معكوفاً عن محله، والرجال قد تفلوا وقملوا أن يطوفوا بهذا البيت، أما والله ما على هذا حالناكم ولا عاقدناكم على أن تصدوا عن بيت الله من جاء معظماً لحرمة مؤدياً لحقه وساق الهدى معكوفاً أن يبلغ محله"^(١).

(١) الواقدي: ج ٢، ص ٨٩.

وقد أثار هذا الكلام قريشاً فخرجت عن شعورها وقالت للحليس لما قص عليهم ما رآه "اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك"^(١) فشاط الحليس غضباً من ذلك وقال فى لهجة شديدة كلمة وجهها إلى قريش قائلاً "والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحبابيش نفرة رجل واحد"^(٢).

عندئذ خشيت قريش من أن ينفذ الحليس حلفه، فطلبوا منه أن ينتظر حتى يأخذوا لأنفسهم ما يرضون به^(٣).

مما لا شك فيه أن ذلك الموقف يدل على قوة الأحابيش وقوة شخصية سيدهم الذى علا شأنه أكثر من ذى قبل بعد هذا الموقف.

وجدير بالذكر أن هناك رواية تذكر أن الحليس عندما رأى الهدى والمسلمين بهيئتهم التى رآهم عليها قال: " ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، أبى الله أن تحج لخم وجذام وكنده وحمير ويمنع ابن عبد المطلب، ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت هلكت قريش ورب الكعبة، إن القوم إنما أتوا عماراً " فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أجل يا أبا بني كنانة "^(٤).

(١) ابن هشام: ج ٣، ص ٢٠١.

(٢) ابن هشام: ج ٣، ص ٢٠١.

(٣) المقرئى: ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) الشامى: ج ٥، ص ٧٦؛ الحلبى: ج ٣، ص ١٩.

ومن المحتمل أن يكون المقصود بتعليق النبي - صلى الله عليه وسلم - على قول الحليس إما أنه لقي الحليس في طريقه، ويكون مراد من قال أنه لم يصل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أي لم يصل إلى مقر النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي نزل فيه، أو أن يكون نقل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قول الحليس هذا، فعلق النبي على مقولة الحليس وقال ما قال.

وعلى كل حال لم يكن هذا هو موقف الأحباش فقط، بل هناك موقف آخر برز منه دور الأحباش، فعندما نزل النبي - صلى الله عليه وسلم - الحديبية قرر أن يرسل مبعوثاً إلى قريش لكي يعلمهم أن المسلمين لم يأتوا لقتال وإنما جاء لأداء مناسك العمرة ثم يعود بعدها إلى المدينة، فأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - خراشاً بن أمية الخزاعي وحمله على جمل يقال له " الثعلب " فلما دخل خراش مكة عقرت قريش الجمل وأرادوا قتل خراشاً إلا أن الأحباش منعوا قريشاً من قتله^(١).

وبعد أحداث جرت في هذه الغزوة قرر المسلمون والمشركون أن يعقدوا هدنة لوضع حداً للحرب الدائرة بينهم، وأرسلت قريش سهيلاً ابن عمرو لكتابة نص الصلح، وإصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض،

(١) الصلابي: عثمان بن عفان، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣٥.

على أنه من أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم ترده عليه، وأن يمضى كل من الطرفين بالعقد خالياً من الغدر والخداع وإنه لا أسلال ولا أغلال أي لا سرقة خفية ولا خيانة، وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن يرجع عامه هذا ولا يعتمر^(١) فتوالت خزاعة فقالوا: نحن في عقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعهده، وتوالت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدا^(٢).

الأحابيش ونقض صلح الحديبية:

لم تسفر معاهدة الحديبية التي عقدت بين المسلمون وقريش وحلفائها عن هدوء الأوضاع نهائياً، ولكن ظل الجو مشحوناً بين الطرفين ففي أثناء الصراع بين المسلمين ويهود خيبر، حدث رهان بين بعض المشركين، منهم من راهن على هزيمة المسلمون، ومنهم من راهن على إنتصار المسلمون، فكان من المراهنين عباس بن مرداس السلمي، وصفوان بن

(١) الطبري: ج ٢، ص ١٤٥.

(٢) الطبري: ج ٢ ص ١٤٥.

أميه، ونوفل بن معاوية النفاثي أحد سادة الأحباش، بالإضافة إلى بعض القرشيين شاركوا في هذا الرهان^(١).

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فبعد غزوة خيبر كانت النية مُبَيَّته من قريش والأحباش على إعادة الحرب بينهم وبين المسلمون وحلفائهم الخزاعيين، واتفقوا على إعانة نوفل بن معاوية الديلي في الهجوم على خزاعة الذي ذكّر قريشاً وبنههم إلى أن خزاعة لا يغيثون على محمد حراً من أمور قريش ولا الأحباش^(٢).

وجاءت القشة التي قصمت ظهر البعير، وتسببت بعد ذلك في فتح مكة وتحجيم قوة الأحباش حتى تلاشت بعد ذلك بمرور الزمن، وذلك كان هناك ثأر ودماء قديمة بين بني الدليل بن بكر وبين خزاعة في الجاهلية، ولكن لما ظهر الإسلام تحاجز الطرفان عن قتل بعضهم البعض، حتى كانت هدنة الحديبية ودخلت خزاعة في حلف النبي - صلى الله عليه وسلم -، ودخلت بنو بكر في عقد قريش فاستغل بني الدليل بن بكر الهدنة وقاموا بالإعتداء على خزاعة عند ماء لها يسمى الوتير^(٣).

(١) الواقدي: ج ٢ ص ١٦١.

(١) الواقدي: السابق، ج ٢ ص ١٨٤.

(٢) الطبري: ج ٢ ص ١٨٢.

(٣) الطبري: ج ٢ ص ١٨٢.

ولم يكن كل بني بكر قد نقض الهدنة^(١)، لكن من الثابت أن بني الدليل كانوا أشد من قام بهذه الهجمة الشعواء على خزاعة خاصة بني نفاثة وسيدهم نوفل ابن معاوية الديلي وهم من القوة الأساسية للأحباش، كما أن بني الدليل قد قتل منهم ثلاثة من أسيادهم وأشرفهم أثناء سلسلة القتل التي كانت بين خزاعة وبني الدليل، وهم سلمى وكلثوم وذؤيب من بني الأسود بن رزن الديلي، قد قُتلوا جميعاً في عرفه عند أنصاب الحرم^(٢).

كما شارك الأحباش أيضاً في الهجمة التي قادها نوفل بن معاوية الديلي على ماء الوتير^(٣)، وأخذوا في قتل الخزاعيين الموجودين هناك وتقدر أحد المصادر عدد القتلى من خزاعة بعشرين قتيلاً^(٤) أو ثلاث عشر^(٥)، وبلغ القتال أشده حتى دخل المتحاربون الحرم وقريش قد ساندت بني بكر بالسلاح وإشترك بعض القرشيين مع البكرين في هجمتهم على الوتير ليلاً^(٦)، ولما دخل الخزاعيون الحرم طلباً للأمان لم يراعي نوفل بن معاوية حرمة الحرم، حتى إن من معه من بني بكر قالوا له

(٢) ابن هشام: ج ٤ ص ١٧.

(٣) الواقدي: ج ٢ ص ٢٣١.

(٤) ابن سعد: ج ٢ ص ١٩٤.

(٥) الواقدي: ج ٢ ص ٢٣١.

(٦) ابن سيد الناس: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٢٤.

"إنا قد جلنا الحرم، إهك إهك"، فقال لهم "لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبا تاركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون تاركم فيه" (١).

ولما اشتد هجمة البكرين والقرشيين الذين عاونوهم على خزاعة، ولم يراعوا حرمة البيت لجأ الخزاعيون إلى بيت بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع، وفي ذلك يقول الآخرون لعيط الديلي:-

ألا هل أتى قصوى الأحباش أننا رددنا بني كعب بأفوق ناصل
حسناهم في دارة العبد رافع وعند بديل محبساً غير طائل (٢)

وبهذه الهجمة يكون الصلح الذي عقد في الحديبية قد انتقض من جانب بني بكر وقريش، وبعد أن لجأ الخزاعيون لدار بديل بن ورقاء ونافع، خرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً يستنصره ويعلمه ما حدث قائلاً:

يارب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلا
قد كنتم ولدأ وكنا والدأ تمت أسلمنا فلم نزرع يدا
فانصر هداك الله نصرأ أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا (٣)

(١) ابن هشام: ج ٤ ص ١٨.

(٢) ابن هشام: ج ١٤، ص ١٩.

(٣) ابن سيد الناس: ج ٢، ص ٢٢٤.

ويشير عمرو إلى الحلف الذي عقد بين عبد المطلب وخزاعة بمن فيهم بنو المصطلق^(١) الخزاعيون الذين كانوا من ضمن الأحابيش وقد سبق الإشارة إلى هذا التحالف.

ولما دخل عمرو بن سالم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال ما قاله، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - "نصرت يا عمرو بن سالم"^(٢).

ثم خرج بعد ذلك بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبروه بما أحبب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ويرى ابن سيد الناس أن الركب الذين خرجوا مع بديل هم نفسهم الركب الذي خرج مع عمرو بن سالم^(٣) أي أن الذين قدموا على النبي - صلى الله عليه وسلم - ركباً واحداً وليس اثنين.

وعلى كل حال لما حدث ما حدث ندمت قريش على اعانتها لنوفل بن معاوية، ولما أخبر الخزاعيون النبي - صلى الله عليه وسلم - بما حدث وأعلموه أن المتهمين في هذه الأحداث بنو نفاثة بقيادة نوفل بن معاوية، أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل مكة يخيرهم بين ثلاث أشياء، إما أن يبرئوا من حلف نفاثة أو يدوا خزاعة أو ينبذوا إليهم على سواء فاختارت قريش أن ينبذوا إليهم على سواء، ثم ندمت قريش بعد

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج ١ ص ٧١.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ج ٢ ص ٢١٩.

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢ ص ٢٢٥.

ذلك فبعثت أبا سفيان بن حرب تسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجدد العهد^(١).

ولم يكن الأمر مقتصرأ على الإعتداء على خزاعة، بل إن هناك من سب النبي - صلى الله عليه وسلم - وهجاه كأنس بن زنيم الديلي^(٢)، وعندما هجا أنس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجه، فخرج إلى قومه فأداهم شجته فثار الشر مع ما كان بينهم وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها^(٣).

وقد أخبر الخزاعيون النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أنساً هجاه فهدر النبي - صلى الله عليه وسلم - دمه ثم عفى عنه، وجاء إليه أنس معتذراً ثم أسلم، قائلاً في اعتذاره إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -

أأنت الذي تهدي معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك أشهد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبو وأوفي في ذمة من محمد^(٤)

وأحداث فتح مكة، منذ اعتداء بني بكر على خزاعة إلى أن فتح الله مكة على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرة وفيها من الأخبار ما لا

(١) الواقدي: ج ٢، ص ٢٣١.

(٢) الواقدي: ج ٢، ص ٢٢٨.

(٣) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق/ سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٨٦.

(٤) الواقدي: السابق، ج ٢، ص ٢٣٣؛ ابن تيمية: الصارم المسلول، ص ٨٦-٨٧.

مكان له في هذه الدراسة، ولكن سيكون تركيز الباحث على تبعيات هذا الفتح على الأحاييش وموقفهم من المسلمين، ومقاومة الأحاييش للمسلمين.

نظراً لما قام به الأحاييش مجتمعين أو بعض قبائلهم في المشاركة بالهجوم والاعتداء على المسلمين كان لزاماً على المسلمين أن يواجهوا هذه القوة، لذا نرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخذ في الحسبان العمل على القضاء على قوتهم فلجأ إلى السياسية وذلك باجتذاب النبي -صلى الله عليه وسلم- قبائل خزاعة وكنانة التي تنتمي إليها أحياء الأحاييش كخزاعة وغفار وأسلم^(١)، وليس معنى ذلك أن كل خزاعة أو بني كنانة كلها كانوا من الأحاييش، كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين المحدثين الذين اعتبروا بني ضمرة^(٢) وغفار^(٣) وكل خزاعة من الأحاييش^(٤)، وهذا القول محدث لم يقله أى من المؤرخين والكتاب القدامى الذين تحدثوا وأشار إلى الأحاييش وقبائله، بل أن هناك عدة مصادر تخرج خزاعة عن الأحاييش إلا الحيا (الحياء) والمصطلق فهم من الأحاييش^(٥).

(١) عبد الحميد العبادي: صورة من التاريخ الإسلامي، ص ١٩.

(٢) على حسن: دراسة لمواقف الأحاييش، ص ٥٦، ٥٨، ٧٩-٨٠، ٨٣.

(٣) على حسن: المرجع السابق، ص ٥٨، ٧٤، ٧٩-٨٠، ٨٣.

(٤) على حسن: السابق، ص ٨٠.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢ ص ١١٧.

أما عن تحالف النبي - صلى الله عليه وسلم - مع بعض القبائل الكنانية وتحسن علاقته مع بعض الخزاعيين فيرجع إلى قيامه - صلى الله عليه وسلم - بتضييق الخناق عن قبائل الأحابيش وبطونها المنتمين في الأصل إلى هذه القبائل ولكي يضمن النبي - صلى الله عليه وسلم - على أقل تقدير ألا تشارك في باقي القبائل والبطون العربية من أخوانهم في الأحابيش في الصراع بينهم وبين المسلمين.

لذا أمّن النبي - صلى الله عليه وسلم - ظهره في عدد من الأماكن وعمل بعد ذلك على استئصال والقضاء على قوة الأحابيش قبيلة تلوا الأخرى.

لذا نرى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد غزوة أحد التي اشترك فيها الأحابيش من بني الحارث بن عبد مناة، وبني مالك بن كنانة، وبني المصطلق وبني نفاثة بن الدليل أن يوجه النبي - صلى الله عليه وسلم - سراياه وجيوشه لتأديب هذه القبائل بعد رفضها الإسلام ووقوفها مع قريش ضد المسلمين، اللهم إلا الأفراد الذين أسلموا من الأحابيش - كما سيعرض بعد ذلك - لذا نرى النبي - صلى الله عليه وسلم - يلجأ إلى القوة لإجبار قبائل الأحابيش على التراجع عن تأييدها لقريش وغيرهم من العرب المتمالئين ضد الإسلام والمسلمين.

ولقد شهدت الفترة بين العام الرابع والسادس الهجريين نشاطاً مكثفاً لسرايا النبي - صلى الله عليه وسلم - ضد المناهضين للدعوة الإسلامية، شنّ خلالها النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر من سرية ضد قبائل

الأحاييش، كل منها على حدة، ففي العام الخامس^(١) وقيل العام السادس للهجرة^(٢) بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - سرية بقيادة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى القارة فاعتصموا بالجبال^(٣) فأخذ يرميهم هو ومن معه بالحجارة بكلتى يديه^(٤)، كما بعث - صلى الله عليه وسلم - بشر^(٥) وقيل بشير^(٦) بن سويد الجهنى إلى بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة الأحاييش فاعتصموا منه في غيضة فأضرمها عليهم ناراً فاحترقوا فأنكر النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك لما رجعوا وقال لهم بئس ما فعلتم^(٧) وحتى لا يخيل إلا البعض أن بشراً (بشير) أضرم النار فيهم كلهم أو احترقوا كلهم، بل كانت فئة منهم.

كما وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - بلالاً بن الحارث المزنى إلى بني مالك بن كنانة، فنذروا فلم يصب فى دارهم إلا فرساً فجاء بها إلى

(١) ابن خياط: ص ٤٧، ابن حبيب: المحبر، ص ١٤٠.

(٢) المسعودى: التنبية والإشراف، ص ٢٥٢.

(٣) ابن خياط: ص ٤٧.

(٤) ابن حبيب: ص ١٤٠.

(٥) ابن حبيب: ص ١٤٠، المسعودى: ص ٢٥٢.

(٥) ابن خياط: ص ٤٧.

(٥) ابن حبيب: ص ١٤٠.

(٥) ابن حبيب: ص ١٤٠.

النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، ولا شك أن كل هذه السرايا ومن بعدها بنو المصطلق . كما سأعرض لها . إنتقاماً لمواقف هذه القبائل ومشاركتها مع قريش في أحد ، واشتراك الأحابيش مع سفيان الهذلي في التوجه لمهاجمة المسلمين، بالإضافة إلى أحداث الرجيع وبثرمعونة ولاشك أن هذه السرايا قد أثارت الحقد في نفوس الأحابيش وجعلتهم يخرجون إلى المسلمين في غزوة الأحزاب حاملين مظاهر البغض والحقد على المسلمون.

وجدير بالذكر أن هذه السرايا التي سبق ذكرها لم تحظ باهتمام أكثر كتاب السير كاهتمامهم بغزوة بني المصطلق الأحابيش، ولعل السبب في ذلك هو الأثر الكبير الذي خلفته غزوة بني المصطلق من إسلام القبيلة عن بكرة أبيها، بالإضافة إلى مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم لهم، أما عن سبب هذه الغزوة فهناك قولان، الأول: يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم وصلت إليه الأخبار بجمع الحارث أبي ضرار لحرب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخذ في حشد القوات من بني المصطلق وغيرهم من العرب^(٢). والقول الثاني: يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أغار عليهم وهم غارون . أي غافلون . وبعضهم على الماء يسقي^(٣).

وهذان القولان صحيحان، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه خبر تجهيز بني المصطلق للإغارة على المسلمين أرسل النبي - صلى الله

(٢) ابن هشام: ج٣ ص ٢٧٩.

(٣) أبو يوسف: المصدر السابق، ص ٢١٠؛ ابن أبي شيبة: المغازي، تحقيق/عبد العزيز العمري، دار أشبيلية، السعودية ط ١٩٩٩ م ص ٢٦٨؛ البخاري: حديث رقم ٢٥٤١.

عليه وسلم - الصحابي بريدة بن الحصيبي للتأكد من الخبر، ولما وصل بريدة إلى الحارث بن أبي ضرار متنكراً، وعلم بصحة الخبر فعاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بصحة خبر تجهيز بني المصطلق للإغارة على المسلمين، فانتهاز النبي صلى الله عليه وسلم الفرصة السانحة وهجم على بني المصطلق وهم غافلون.

وعن قول البعض أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما خرج إلى بني المصطلق وهم غارون اختلف الفقهاء حول جواز قتال الكفار دون أن تبلغهم دعوة الإسلام على ثلاثة مذاهب:-

الأول: يجب الإنذار مطلقاً. قاله مالك وغيره.

والثاني: لا يجب مطلقاً.

والثالث: (وهو الرأي الصحيح)، يستحب وهو قول نافع مولى ابن عمر والحسن البصري والثوري والليث بن سعد والشافعي وغيرهم^(١).

وأما ما يخص حالة بني المصطلق التي بصدد الحديث عنها، فإن بني المصطلق لم يجهلوا الدعوة الإسلامية، بل كانوا على معرفة بها وقد شاركوا في محاربتها في غزوة أحد ضمن قوة الأحابيش^(٢).

(١) النووي: شرح صحيح مسلم، ج ١٢ ص ٣٢.

(٢) إبراهيم قريبي: المرجع السابق، ص ٦٧؛ العمري: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٠٥.

ويبدو أن السبب الذي جعل بني المصطلق يجمعون للمسير إلى المدينة هو قيام النبي صلى الله عليه وسلم بتأديب الأحابيش الذين شاركوا مع قريش في غزوة أحد وفي عرنة مع الهذليين، ولما قام النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه سراياه إلى بني مالك وبني الحارث بن كنانة والقارة، خشي بنو المصطلق أن يتوجه إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم الآخرون لتأديبهم لمشاركتهم مع الأحابيش في أحد لذا سارعوا إلى شراء السلاح والخيل للتجهيز لحرب المسلمين^(١)، وهناك سبب آخر معقول ذكره أحد الباحثين وهو أن بني المصطلق نظراً لتوسط ديارهم ديار خزاعة، وكانت مساكنهم في الطريق التجاري إلى الشام، وتحسن علاقتهم مع قريش، لذا رأى بنو المصطلق أن يعلنوا الحرب على المسلمين رغبة منهم في الإبقاء على الطريق التجاري مفتوحاً أمام قريش، ولا يهددها أحد نظراً للمصالح والمكاسب التي ستعود على بني المصطلق^(٢).

أما عن سنة الغزوة فقد اختلف فيه أيضاً:-

فهناك من يرى أنها كانت سنة خمس لهجرة كموسى بن عقبة، والواقدي، ابن سعد، المسعودي، مغلطاي^(٣) وغيرهم.

(١) الواقدي: ج ١، ص ٣٤٣.

(٢) العمري: السابق، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٣) كموسى بن عقبة: المغازي: ص ٢٢٩؛ الواقدي: المغازي: ج ١ ص ٣٤١؛ ابن سعد: الطبقات:

ج ٢، ص ٨٧؛ المسعودي: التبيين والإشراف: ص ٢٤٩؛ مغلطاي: مختصر السيرة، ص ٨٥.

وهناك من يرى أنها كانت سنة ست للهجرة كابن هشام^(١) وابن خياط^(٢) والطبري^(٣)، وابن حزم^(٤)، وابن عبد البر^(٥)، وابن الأثير^(٦)، وابن كثير^(٧)

وغيرهم، وهناك من رأى أنها كانت سنة أربع للهجرة كالبخارى^(٨)، والمسعودي^(٩).

إلا أن ابن حجر يقول عن قول البخارى كأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع^(١٠).

ويرى البعض أن العام الذى حدثت فيه الغزوة كان سنة خمس للهجرة لأن الثابت أن حادثة الإفك كانت في هذه الغزوة ومن المشهور أن سعد بن معاذ وسعداً بن عباد - رضى الله عنهما - تنازعا في أصحاب الإفك، فلو كانت المريسيع (بنو المصطلق) في سنة ست مع كون الإفك فيها

(١) السيرة النبوية: ج ٣، ص ١٨٣.

(٢) تاريخ خليفة: ص ٤٧.

(٣) التاريخ: ج ٢، ص ١٢٣، ١٢٨.

(٤) جوامع السيرة: ص ١٦١.

(٥) الدرر: ص ١٣١.

(٦) الكامل: ج ٢، ص ٧٩.

(٧) البداية والنهاية: ج ٤، ص ١٥٧.

(٨) الصحيح: ج ٣، ص ٩٧.

(٩) مروج الذهب: ج ٢، ص ٢٩١.

(١٠) فتح الباري: ج ٧، ص ٤٣٠.

لكان ما وقع في الصحيح عن ذكر سعد بن معاذ غلباً، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس كما أن الخندق كانت في شوال سنة خمس^(١) ولذا يرجح البعض أن تكون غزوة بني المصطلق سنة خمس ومما لا خلاف فيه أن هذه الغزوة كانت شهر شعبان يوم الاثنين ليلتين خلتا منه^(٢).

وعلى كل حال، لما تأكد النبي - صلى الله عليه وسلم - من نية بني المصطلق أغار عليهم على ماء لهم يقال له المريسيع وكان بعض بني المصطلق يسقى الماء هناك ومنهم جويرية بنت الحارث المصطلقية - أم المؤمنين - فكانت ممن أخذ يومئذ^(٣)، وفي الطريق قبل أن يصل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المريسيع وجد عيناً للمشركين قد أرسله الحارث بن أبي ضرار للتجسس على المسلمين فظفر به المسلمون فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عمر بن الخطاب بضرب عنقه بعد أن رفض الإسلام^(٤).

ولما علم بنو المصطلق بقتل جاسوسهم وإغارة المسلمين على مياههم خرجوا لمواجهة المسلمين، فابتدأت الحرب بالرمي بالنبل، ثم أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بالحمل على المشركين حملة رجل

(١) إبراهيم قريبي: المرجع السابق.

(٢) مغلطاي: مختصر السيرة، ص ٨٤.

(٣) أبو يوسف: ص ٢١٠.

(٤) الحلبي: السيرة الحلبية، ج ٢ ص ٣٧٨.

واحد، وبالفعل نفذ المسلمون أوامر النبي - صلى الله عليه وسلم - وقتلوا عشرة من المشركين^(١)، قتل منهم رجلان على يد علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - أحدهما يسمى مالكاً والأخر ابنته^(٢)، وسبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرجال والنساء والذرية والنعم والشاء فلم يفلت منهم إنسان، ويقال أن السبى كان مائتي أهل بيت^(٣)، أما الإبل فكانت ألفى بعير، والشاء خمسة آلاف شاة^(٤)، ثم وزع النبي - صلى الله عليه وسلم - السبى والغنائم على أصحابه، لكن لما قرر النبي - صلى الله عليه وسلم - الزواج من السيدة جويرية - رضى الله عنها - سارع الصحابة الذين تحت أيديهم سبى من بني المصطلق، بعثتهم إكراماً للسيدة جويرية أم المؤمنين، ويقال إن صداقها كان عتق كل أسير من بني المصطلق^(٥) وقيل عتق أربعين من قومها^(٦).

أما عن عدم إبراز دور باقى الأحباش في هذه الغزوة، فيرجع إلى أن باقى الأحباش لم يفيقوا بعد من أثر السرايا التى سبق أن وجهها النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بعضهم كبني مالك وبني الحارث والقارة، كما

(١) ابن سعد: ج ٢ ص ٨٨.

(٢) الطبرى: ج ٢ ص ١٣٠.

(٣) الشامى: ج ٤ ص ٤٨٩.

(٤) ابن سعد: ج ٢ ص ٨٩.

(٥) ابن سلام: الأموال، تحقيق/محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م،

ص ١٣٠.

(٦) ابن سعد: ج ٢ ص ٨٩.

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد خرج سريعاً لملاقاة بني المصطلق، فلم تكن هناك فرصة لتجمع الأحابيش، لذا نرى أن الأحابيش لما أفاقوا من صدمتهم لم يتوانوا عن المشاركة في حملة قريش ضد المسلمين في غزوة الأحزاب (الخندق) للانتقام لما حصل لهم من المسلمين ولنصرة حلفائهم القرشيين وعلى كل حال بعد أن انتهى أمر غزوة بني المصطلق دخلوا الإسلام وسوف سيبن الباحث ذلك الحياة الدينية للأحابيش.

كما سبق القول في صلح الحديبية أن بني بكر قد دخلت في عقد قريش في حين أن خزاعة قد دخلت في عقد النبي - صلى الله عليه وسلم - ولما هاجم بنو نفاثة الأحابيش خزاعة ومعهم قريش التي ساعدتهم ببعض الرجال والسلاح، رفضت قريش أن تتبرأ من حلفها لبني نفاثة^(١)، قرر النبي "صلى الله عليه وسلم" الخروج لفتح مكة، ولما داهمت قوات المسلمين مكة أوكلت قريش إلى الأحابيش أن يكونوا بأسفل مكة^(٢)، وكان من الأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وبني الدليل، كما شارك بعض القرشيين والهدليين في هذا التجمع العسكري بأسفل مكة، وكان قواد هذا الجيش عكرمة ابن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو^(٣)، وكانت النية مبيته من الأحابيش ومن معهم أن يواجهوا المسلمين بالقوة حتى أن أحد بني الدليل ويدعي حماس بن خالد الديلي قد وعد أمراته أن

(١) الواقدي: ج٢ ص٢٣١.

(٢) الطبري: ج٢ ص١٨٩.

(٣) الواقدي: ج٢ ص٢٥٩.

يأتيها بخادم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، وذلك قبل أن يفتح النبي -صلى الله عليه وسلم- مكة ولما استعد المشركون بأحباشهم في أسفل مكة لمواجهة المسلمين خرج معهم حماس الديلي ليفي بوعده لأمراته إلا أن سيف الله خالد ابن الوليد لما رأى الأحباش ومن معهم قد شهبوا في وجهه السلاح ورموا المسلمين بالنبل اشتبك الفريقان وقتل من قريش أربعة وعشرين رجلاً وأربعة من هذيل ثم ولوا على أدبارهم مهزومين حتى قتلوا بالحزورة، وهم مولون في كل وجه وانطلقت طائفة منهم فوق رءوس الجبال وأتبعهم المسلمون^(٢)، وكان حماس الديلي من المنهزمين، ولما دخل على زوجته قابلته مستهزئة قائلة له "أين الخادم لم أزل متوقعة لمجيئك به" فقال لها مبيناً ما حدث لقريش والأحباش:-

إنك لو شهدتنا بالخدمة	إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة	لم تنطقي في اللوم أدني كلمة
إذ ضربتنا بالسيوف المسلمة	لهم زئير خلفنا وغمغمة ^(٣)

ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة أخذ يرسل السرايا يمينا وشمالاً وفي كل الجهات وكان من ضمن السرايا التي أرسلها سرية عمرو بن أمية الضمري إلى بنل الدئل^(٤)، ولكن أهم تلك السرايا السرية التي

(١) البلاذري: ج ١ ص ١١٨.

(٢) الواقدي: ج ٢ ص ٢٥٩.

(٣) البلاذري: ج ١١ ص ١١٨.

(٤) الأصفهاني: الإغاني: ج ٧ ص ٣٠٦.

أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم^(١) إلى الأحباش بنو الهون بن خزيمة والحيا بن خزاعة وبنو مالك بن كنانة وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة^(٢) وقد وافاهم خالد عند ماء لهم يسمى الغميصاء، وكان مع خالد قوم من بني سليم فاستباحهم خالد فادّعوا الإسلام^(٣) ويعتبر خبر هذه السرية وأحداثها من أشهر السرايا التي شنّها المسلمون وأخذ بعض المستشرقين يستغلونها في الطعن على الإسلام وخالد بن الوليد، وقد تعرض المستشرق كلاوس كليير إلى هذه السرية بتوسع كبير في أحد مؤلفاته^(٤)، وقد ذكر الروايات الخاصة بها.

ولعل سبب الإشكال في هذه المسألة وما أخذ على خالد بن الوليد رضي الله عنه هو القول بأن بني جذيمة لما توجه إليهم خالد فدعاهم إلى الإسلام لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: "صبأنا، صبأنا" فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل من أصحابه أسيراً ثم أمرهم خالد أن يقتل كل رجل من الذين معه وكانوا ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين رجلاً أسيره، إلا أن هناك بعض الصحابة من الذين كانوا مع خالد رفضوا ذلك حتى قدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنكر ما فعل

(١) ابن حبيب السابق ص ٢١١.

(٢) الأصفهاني: ج ٧ ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٣) ابن بكار: ج ٢ ص ٧١٨.

(٤) خالد وعمر، ترجمة محمد جديد، قدمس للنشر. ط ١، ٢٠٠١ م ص ٦١-١١٩.

خالد ورفع صلى الله عليه وسلم يديه قال "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" مرتين^(١).

لقد إعترض أحد الكتاب على أن يكون بني جذيمة مسلمين حين توجه إليهم خالد لأنهم لو كانوا مسلمين لَمَا أرسل النبي "صلى الله عليه وسلم" خالداً إليهم^(٢).

وهناك من يرى أنهم كانوا مشركين حتى قدم إليهم خالد فأسلموا ولكنهم لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا عندئذ قتلهم خالد.

وهناك عدة مصادر تذكر السبب في تصرف خالد وقتله لبني جذيمة إلى أسباباً شخصية، وذلك لحدث ما قد حدث في الجاهلية ويتلخص في أن الوليد ابن المغيرة والد خالد أقبل في تجارة من الحبشة ومعه ركب من قريش فيهم عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة أبو عبد الرحمن بن عوف، ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية ومعه ابنه عثمان بن عفان، وكانوا قد رجعوا ومعهم مال رجل من بني جذيمة بن عامر ابن عبد مناة، قد هلك باليمن فأرادوا دفع المال إلى ورثة القتيل، فلقبهم رجل يسمي خالد بن هشام بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى ورثة الميت، فطلب منهم المال فأبوا عليه فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذه فقاتلوه، فقتل الفاكة بن المغيرة أخو الوليد بن

(١) البخاري : حديث رقم ٤٣٣٩ .

(٢) كلاوس كليز : خالد وعمر ، ص ٩٤ .

المغيرة، وعوف ونجا عفان وابنه عثمان وأخذوا مال الفاكة ومال عوف بن عبد^(١) وهناك رواية أخرى مجملة تقول: إن عبد الرحمن بن عوف وأباه عوفاً والفاكة بن المغيرة وضرار بن الخطاب جاءوا تجاراً فمروا ببني جذيمة من كنانة فقاتلوهم وقطعوا عليهم الطريق^(٢).

وهناك رواية ثالثة تقول إن نفرأ من قريش يبلغون بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مناة، فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقريشيين: إياكم أن يكون معكم رجل من فهم، لأنه كان له عندهم ثأر، فقال القرشيون لا والله ما هو معنا وهو معهم، فلما راحوا أدركهم العامريون ففتشوهم فوجدوا الفهمي معهم في رحالهم، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالهم وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبي العاصي وأبي عثمان بن عفان، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف، والفاكة بن المغيرة والفاكة بن الوليد بن المغيرة^(٣)، فأرادت قريش قتالهم حتى خذلتهم بنو الحارث بن عبد مناة، فلم يفعلوا شيئاً وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الواقعة^(٤).

(١) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) ابن بكار: ج ٢ ص ٥٣٧.

(٣) يبدو أن الفاكة بن الوليد لم يقتل لأنه كان فيمن حضر وفاة والده. ابن حبيب: السابق ص ١٩٢.

(٤) الأصفهاني: ج ٧ ص ٣٠٥-٣٠٦.

ولما حضرت الوليد بن المغيرة الوفاة طلب من أولاده ومنهم خالد بن الوليد أن يطلبوا بدم أخيه الفاكة بن المغيرة في بني جذيمة بن عامر^(١)، لذا يرى البعض أن خالد بقتله بني جذيمة إنما كان بدافع الانتقام لمن قتل من قريش في الجاهلية في الأحداث التي سبق ذكرها، وتذكر بعض المصادر أن خالد بن الوليد لما قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- عاب عليه عبد الرحمن ابن عوف ما صنع فقال له: يا خالد أخذت بأمر الجاهلية قتلتهم بعمك الفاكة قاتلك الله، فقال خالد: أخذتهم بقتل أبيك، فقال عبد الرحمن كذبت والله لقد قتلت قاتل أبي بيدي واشهدت على قتله عثمان بن عفان^(٢) وكان ذلك في سوق عكاظ دله عليه عثمان بن عفان فقتله^(٣).

وعلى كل حال إن سبب هذه السرية كان دعوة أحد قبائل الأحابيش للإسلام ومما يلفت النظر أن بني الحارث بن عبد مناة كانوا تغيبيوا عن هذه السرية ولم نجد لهم ذكر في أحداثها، ويرى الباحث أن السبب في ذلك أنهم قد تشتتوا بعد أن قاتلهم خالد بأسفل مكة.

وبعد ذكر السرايا السابق ذكرها، والغزوات، وبعد أن فتح الله مكة على يد النبي صلى الله عليه وسلم أخذت قبائل العرب تدخل في دين الله

(١) ابن حبيب: السابق، ص ١٩٢.

(٢) الواقدي: ج ٢ ص ٢٩٧.

(٣) ابن بكار: ج ٢ ص ٥٣٨.

أفواجا ومنهم من تبقى من قبائل الأحابيش الذين لم يكونوا أسلموا قبل الفتح وثبتوا على إسلامهم وأصبحوا جنوداً من جنود الإسلام، يدافعون عنه وخاضوا في ذلك الحروب، كما كان لهم مشاهد ومواقف من الأحداث التي تلت الفتح وعصر الخلافة الراشدة وهو ما ستعرضه الدراسة في الصفحات التالية وسيكون التركيز على النواحي الحربية إستكمالاً لموضوع هذا الباب.

ففي غزوة الطائف التي أعقبت فتح مكة نرى هناك عناصر من الأحابيش بل وسادتهم الذين كانوا يقفون بالأمس ضد المسلمين، يقفون اليوم كجند من جنود المسلمين أمثال نوفل بن معاوية الديلي الذي كان يستشير النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة الطائف^(١)، كما شارك أيضاً في غزوة حنين وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين^(٢).

واستمر الأحابيش بعد إسلامهم يشاركون المسلمون الأوائل في الأحداث الحربية التي تمت فعهدا النبي -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدون

ففي عام وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- ١١ هـ كانت الردة التي قامت بها بعض القبائل العربية، وكان أول من ارتد من العرب كان الأسود العنسي في السنة العاشرة للهجرة، في بلدة كهف حنان في اليمن، وكان

(١) الطبري: ج ٢ ص ٢٠٦.

(٢) ابن هشام: ج ٤ ص ٩٣.

قد خرج في سبعمائة مقاتل، ولما بلغ الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى المسلمين في اليمن وأمرهم بمقاتلة الأسود فقام معاذ بن جبل بهذا الأمر بمن معه من المسلمين^(١)، ولن يخوض الباحث في تفاصيل هذه الحروب، وإنما سيقصر على إبراز موقف الأحابيش من هذه الحروب، وذلك من خلال شيئين الأول ذكر هل كان قبائل الأحابيش من بين المرتدين أم لا؟ والثاني هو موقف قبائل الأحابيش من الحروب التي جردت لحرب المرتدين والفتوح، فتذكر بعض المصادر أن الذين ارتدوا بنو أسد وفزارة وبنو عامر وغطفان، وبنو سليم وطائفة من بني تميم، وارتدت طائفة من كندة وارتدت بنو بكر بن وائل، وبنو حنيفة، وقد همت قبائل طيء أن ترتد عن الإسلام لولا موقف عدي بن حاتم الطائي الذي قام فيهم خطيباً وحال بينهم وبين الردة^(٢).

كما ارتد بنو عوف بن امرئ القيس، وذكوان وبنو حاربة، وأهل اليمامة كلهم، وأهل دبا من أزدعمان، والنمر بن قاسط وكتب ومن قاربهم من قضاة، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص، وحضرموت وعنس^(٣).

أما الذين تمسكوا بالإسلام القبائل القاطنة بين مكة والمدينة وأسلم وغفار وجهنية ومزنية وكعب وثقيف، بني مالك، طيء، هذيل، وأهل السراة وبجيلة، وخثعم، ومن قارب تهامة من هوازن، نصر وجشم، وسعد بن

(١) محمد بريغش: ظاهرة الردة، مؤسسة الرسالة، د. ت، ص ٩٣-٩٤.

(٢) الواقدي: كتاب الردة، تحقيق محمد حميد الله، ط ١٩٨٩ م، ص ٣٠، ٣٧.

(٣) ابن حبيش: المصدر السابق، ج ١ ص ١٨.

بكر وعبد القيس، وأهل اليمن تجيب وطوائف من مذبح وهمدان والأبناء وأهل الجند، والدتل وكنانة وعبس^(١).

ولم يكن كل من ارتد دوافعهم واحدة، فهناك من منع دفع الصدقات، كبنى يربوع وقيس بن عاصم المنقري وبنى منطلة وبن دارم، فقد قام هؤلاء بتفريق الصدقات على قومهم لما بلغهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، وهناك من رفض دفعها وأغلظ القول كبنى فزارة^(٣)، وهناك من منع الزكاة^(٤)، وهناك من ادعى النبوة كالأسود العنسي^(٥)، ومسيلمة وسجاح وهؤلاء قد ادعوا النبوة وأنكروا نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهناك من ارتد عن الدين، وأنكر الشرائع وتركوا الصلاة، وهناك من عاد إلى عبادة الأوثان^(٦).

ولاشك أن كل من فعل شيئاً من الأشياء السابقة فيعتبر خارجاً عن الإسلام، حتى من رفضوا الزكاة وأقروا بالصلاة، ومن المعلوم أن منع الزكاة من الكبائر التي تخرج صاحبها عن الملة^(٧)، والذين لا يؤتون الزكاة

(١) ابن حبيش: الغزوات، ج١ ص ١٨ - ٢٠.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء، ج٢ ص ٩٢.

(٣) الكلاعي: المصدر السابق، ج٢ ص ٩٢ - ٩٣.

(٤) الواقدي: كتاب الردة، ص ٣٠.

(٥) محمد بريغش: ظاهرة الردة، ص ٩٦.

(٦) على الصلابي: سيرة أبي بكر الصديق، مؤسسة أفراء، القاهرة، ط١ ٢٠٠٦ م ص ١٧٩.

(٧) الذهبي: الكبائر، تحقيق محمد الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ٢٠٠١ م ص ٤١.

هم المشركون، قال تعالى (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)^(١).

والزكاة من الأعمدة التي بني عليها الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً"^(٢)، فمن فعل غير ذلك سواء منع الزكاة أو لم يشهد بوحدانية الله ونبوة رسوله، حتى لو أقام الصلاة وصام رمضان فليس بمسلم، لذا نرى أن الصديق رضى الله عنه لم يقصر في تطبيق شرائع الإسلام في أيام الردة، حتى أن من هول الردة كلمه بعض الصحابة من المهاجرين والأنصار في أن يقبل الصلاة من بعض المرتدين، وحجتهم في ذلك أنهم لو أقاموا الصلاة لآتوا الزكاة، فرد عليهم الصديق رداً حازماً قاطعاً، قائلاً لهم: "إن تميماً إن أذن لها من الإسلام في نقض عروة لم ترض بمثله بكر بن وائل ولو أعطيت كنانة والفافها وأحايشها أمراً لم ترض قيس حتى تزداد، ولئن سمعت قولكم لأنقضن الإسلام عروة عروة"^(٣).

(١) فصلت: ٦-٧.

(٢) البخاري: حديث رقم ٨.

(٣) الجاحظ: العثمانية، تحقيق/عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت ط ١١ ١٩٩٩م، ص ٨٣.

(٣) البخاري: حديث رقم ٦٩٢٥؛ الذهبي: الكباير ص ٤١.

(٣) الأزدي: فتوح الشام، تحقيق/عصام مصطفى، مؤسسة حماد الأردن د. ت ص ٨٩، ٩٥.

ومن أقواله أيضاً حول ذلك "والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها"^(١).

ولما لم يكن هناك فائدة من توبة المرتدين عن الإسلام كان لابد من مواجهتهم، لذا نرى أن الصديق قد جرد الجيوش لملاقاة المرتدين، فوفد إلى المدينة بعض القبائل لمساندة الصديق في خربه، فقدمت حمير ومعها نساؤها وأولادها بقيادة ذي الكلاع يقود عدداً كثيراً من أهل اليمن ومعهم العدة، كما قدمت مذحج فيها قيس بن هبيرة المرادي ومعه جمع عظيم من قومه، كما الأزدي في عدد كثر وجمع عظيم^(٢).

كما قدم حمزة بن مالك الهمداني في أكثر من ألفي رجل من همدان^(٣).

كما قدمت بنو كنانة يقودهم غيثم بن اسلم الكناني^(٤)، وقيل قباث بن أشيم الكناني^(٥).

ولاشك أن ضمن بني كنانة هؤلاء بعض القبائل الكنانية المتمية للأحبابيش كبني الدؤل مثلاً، والذي كان قد وفد سيدهم نوفل بن معاوية

(١) الأزدي: فتوح الشام ص ١٢١

(٢) الواقدي: فتوح الشام، تحقيق/ هاني الحاج، المكتبة التوفيقية د. ت، ج ١ ص ١٨.

(٤) الأزدي: ص ٩٥.

الديلي على أبي بكر الصديق قبل أن يقدم أسامة بن زيد على أبي بكر الصديق^(١).

ولا شك أن الصديق وغيره من الصحابة لم يكونوا يجهلون أهمية الأحباش خاصة من بني كنانة في الحروب، سواء في جاهليتهم أو في عصر النبوة سواء مشركوهم أو مسلموهم، لذا لما أسلم الأحباش نري أن الخلفاء الراشدين يلحقون قبائل الأحباش أو بعضاً منها سواء فرادى أو جماعات في الحروب في صدر الإسلام التي كانت مهمتها الأساسية نشر الإسلام، في عهد الصديق أبو بكر نري من ضمن المشاركين في فتح دمشق قضاعي بن عامر الديلي وكان من الشهود على كتاب الصلح الذي كتبه سيف الله خالد لأهل دمشق^(٢)، وكان ذلك في العام الرابع عشر للهجرة حيث أن المسلمون خرجوا لفتح دمشق في العام الثالث عشر^(٣) في عهد الخليفة أبي بكر - رضي الله عنه - إلا أنه توفي رضي الله عنه قبل إتمام المسلمين فتح دمشق التي أتموا فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولما تولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الخلافة، كان هو الآخر على يقين بأهمية وبسالة أبناء الأحباش في الحروب، فأرسل من أرسل منهم للفتح وأسند إلى بعضهم القيادة، ومن ذلك اشتراكهم في الحروب

(١) الطبري: ج٢ ص ٣٠١.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤ ص ٣٨٦؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥ ص ٢٤١.

(٣) ابن عساکر: المصدر السابق، ج٢ ص ١٠٩ - ١١١.

التي وجهت إلى بلاد العراق وفارس ومصر، ففي بلاد العراق كان الأحباش من ضمن القوات التي شاركت في فتح بلاد العراق حتى إنهم كانوا ضمن التقسيم الذي أمر به الفاروق عمر أن تقسم به مدينة الكوفة إلى أسباع، فكان للأحباش نصيب من تلك الأسباع^(١)، وسبق توضيح ذلك، وفي فتوحات بلاد فارس شارك عساكر الكوفة في تلك الفتوحات، ففي بلاد فارس كان هناك من الأحباش من شارك في الجيوش التي وجهت لفتح تلك البلاد كسارية بن زئيم الديلي فكان على ما يبدو ضمن المشاركين في فتح نهاوند التي عرفت بفتح الفتوح، لأنه لم يكن بعده كبير حرب^(٢).

ولما جاء خبر الفتح إلى الخليفة عمر أذن بالأنسياع في بلاد الفرس وقام بتعيين قواد الجيوش التي ستذهب لاستكمال فتح بلاد فارس وأرسل بالولاية إلى أصحابها.

وكان من ضمن القواد الذين عينهم عمر بن الخطاب هو سارية بن زئيم الديلي وجعل وجهته إلى فسا ودار ابجرد^(٣)، وتذكر بعض المصادر أن

(١) جميل المصري: أثر أهل الكتاب، مكتبة الدار، المدينة المنورة، د. ت ص ٢٢٤.

(٢) الخضري: المرجع السابق، ج ١ ص ٢٧٦.

(٣) على الصلابي: سيرة عمر بن الخطاب، ص ٤٤١.

هذا التكليف كان في سنة سبع عشرة^(١) في حين أنه تم فتح فسا ودار ابجرد في سنة ثلاث وعشرين للهجرة^(٢).

ولقد كان عمر بن الخطاب شديد التفكير في الجيش الذي قاده سارية بن زعيم لفتح بلاد فسا ودار ابجرد، فيقال إنه في إحدى الأيام وعمر يخطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عرض في خطبته وقال يا سارية الجبل الجبل ثلاثاً^(٣)، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال علي "ليخرجن مما قال"، فلما فرغ من صلاته قال له علي: ما شيء سنع لك في خطبتك؟ قال وما هو؟ قال: قولك يا سارية الجبل الجبل، من استرعى الذئب ظلم.

قال: وهل كان ذلك مني؟ قال: نعم.

قال وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا، وقد ظفروا، وإن جاوزوا هلكوا فخرج مني ما تزعم أنك سمعته^(٤).

(١) الطبري: ج ٢ ص ٥٩٢.

(٢) ابن حجر: السابق، ج ٣ ص ٥٢؛ على الصلابي: سيرة عمر بن الخطاب ص ٤٤١

(٣) ابن حجر: السابق، ج ٣ ص ٥٣.

(٤) سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،

القاهرة، ١٩٨٣ م، ج ٢ ص ١٣٦.

وبعد شهر من هذه الواقعة جاء البشير بفتح المسلمين لفسا ودارابجرد على يد سارية بن زنيم، ولما عادوا ذكر سارية أنه كان في ذلك اليوم في تلك الساعة، حين جاوزوا الجبل سمع صوتا يشبه صوت عمر يقول: يا سارية الجبل الجبل، قال: فعدلنا إليه ففتح الله علينا^(١).

و يذكر أحد الكتاب أن صوت عمر لما انتقل لسارية كان السر في ذلك هو سرعة الصوت، وليس بفعل انتقال الرياح^(٢).

وينسب إلى سارية بن زنيم أيضاً فتحه أصبهان سنة تسع وعشرين^(٣) ولسارية بن زنيم مشهد في مصر يدعى بمشهد سارية الجبل^(٤).

ومكانه الحالي داخل قلعة صلاح الدين^(٥).

أما عن عدم ذكر سارية بن زنيم في فتوح مصر، فإن ذلك لا ينبغي أن يكون قد وفد مصر بعد فتحها وتوفى بها ونسب إلى قبره المشهد السابق ذكره.

وهناك من القارة من شهد فتح مصر كأبي جمعة القاري^(٦).

(١) سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٢ ص ١٣٧.

(٢) عيد ورداني: قصة الخلق، الناشر المتحدون، القاهرة ط ٢٠٠٠م، ص ٥٥١.

(٣) ابن خياط: ص ١١٧.

(٤) ابن جبير: ص ٥٧.

(٥) سعاد ماهر: المرجع السابق، ج٢ ص ١٣٦.

(٦) ابن حجر: ج٧ ص ٣٢.

ولعل هذا ينفي ما ذكره أحد الباحثين من أن القارة لم يكن لهم ذكر في أخبار الفتح أو ما بعده^(١)، إلا في القرن الثاني الهجري حيث كان منهم يعقوب بن عبد الرحمن المحدث المتوفى سنة ١٨١هـ^(٢).

ويرى الباحث أن القارة من الممكن أن يكونوا ضمن أهل الرابية في فتح مصر وكان للقادة أيضاً مشاركة في فتح بلاد العراق وكان نهم سعد بن أبي عبيد القاري الذي وفد على النعمان بن المنذر^(٣) كمبعوث من سعد بن أبي وقاص وأن تفوق القارة ومهارتهم في الرماية تأهلهم للمشاركة في الحروب كما كانوا يسمون في الجاهلية برماة الحدق لتفوقهم في الرماية.

وهناك أحد الباحثين يرى أن خزاعة كلها وغفار كانا من الأحابيش^(٤)، ومن المعلوم أن خزاعة وغفار وأسلم وأشجع وجهنية وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحررض من بني كنانة ومزينة وجماعة من قريش كانوا يشكلون خطة واحدة في مصر تسمى خطة أهل الرابية^(٥)، ومن الثابت أن غفاراً وأكثر خزاعة لم يكونوا من الأحابيش كما سبق توضيح ذلك.

(١) عبد الله البري: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ م، ص ٩٨.

(٢) عبد الله البري: القبائل العربية في مصر، ص ٩٩.

(٣) جواد على: المفضل، ج ٤ ص ٢٢٩.

(٤) على حسن: السابق، ص ٥٨، ٧٤، ٧٩-٨٠، ٨٣، ٨٥.

(٥) المقرئزي: الخطط، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت، ج ٢ ص ٧٦.

هذا بالنسبة لمواجهات المسلمين في العراق وفارس ومصر، أما عن مواجهات المسلمين للروم، فقد كان من الأحباش من اشترك في موقعة أجنادين ضد الروم، فكان جنادة بن تميم المالكي من بني مالك بن كنانة على أحد جنبي جيش عمرو بن العاص^(١)، كما أن أبا أيوب المالكي قد سار لملاقاة الروم في الرملة^(٢)، أما عن دور قبائل الأحباش في عهد عثمان بن عفان، فيبدو أنهم ظلوا على ما كانوا عليه قبل تولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة، ففي فتح أرمينية كتب عثمان بن عفان إلى الوليد بن عقبة عامله على الكوفة أن تنتخب من أهل الكوفة عشرة آلاف فارس ويضمهم إلى سلمان بن ربيعة ويوجه بهم إلى حبيب بن مسلمة معونة لهم على عدوهم^(٣).

ولا شك أن من ضمن العشرة آلاف كان هناك قوة من الأحباش مشاركة فيها، لأن في الكوفة كما سبق القول، كان هناك جماعة من الأحباش في الكوفة، لذا لا يستبعد أن يكون الأحباش وهم من أهل الحرب أن يكونوا ضمن هذا الإمداد.

(١) الطبري: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٢٣.

(٢) الواقدي: فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، مطبعة الحرية، ١٨٩١م، ص ١٣٩.

(٣) البلاذري: ج ١١ ص ١٤٦.

وفي عهد الخليفة علي بن أبي طالب نراه قد عمل على الرفع من شأن بعض الأحبابيش خاصة من بني الدليل وبني مالك بن كنانة فكان الخليفة علي قد اتخذ من الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية، وفي إحدى خطبه أشاد بقوة بني فراس من بني مالك بن كنانة، وقال: "وددت أن لى بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم من بني مالك بن كنانة"^(١).

وفي موقعة صفين خرج جند الكوفة ممثلين للأسباع، فكان السبع الذي ينتمي إليه الأحبابيش ضمن الذي خرج، فكان قائد هذا السبع معقل بن قيس اليربوعي على تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة وأسد^(٢)، ولما تجمع الجنود الموالين لعلي بن أبي طالب والجنود الموالين لمعاوية بن أبي سفيان، قام كل منهما بإعادة ترتيب الجنود، وتعيين رؤساء الجيش، فكان القسم الذي فيه قريش وأسد وبني كنانة الذين خرجوا من الكوفة جعل تحت قيادة عبد الله ابن عباس، وقد أبدى كنانة وبنو أسد من ضروب الشجاعة في هذه الحرب ما جعل عامراً بن وائلة الليثي يشيد بذلك:

وحامت تميم وحامت أسد
فما خام منا ومنهم أحد

حامت كنانة في حربها
وحامت هوازن يوم اللقا

(١) البلاذري: ج ١١، ص ١٤٦.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، حقيق/ عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٢ هـ، ص ١١٧.

وعندما خرج على بن أبي طالب للقتال بنفسه كان في قلب الجيش مع أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة من خزاعة وكنانة وغيرهم^(١)، وكان هشام بن عتبة بن أبي وقاص ابن أخي سعد بن أبي وقاص -رضى الله عنهما- أمه من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة الأحابيش، وكان هشام من الذين قاتلوا مع على بن أبي طالب بصفين وكان يقال لهاشم الأعور والمرقّال، قد قُطعت رجله يوم صفين ولم يمنعه ذلك عن القتال، فكان يقاتل من دنا منه وهو بارك حتى قُتل^(٢).

وكان من الذين يحبون علياً بن أبي طالب حباً شديداً أبو الأسود الدؤلي، وهو من الأحابيش أيضاً، فعندما خرج عبد الله بن عباس إلى على بن أبي طالب يوم صفين استخلف أبو الأسود عليها^(٣).

ولما خرج الخوارج على على بن أبي طالب وبعد التحكيم وجه عبد الله بن عباس أبا الأسود الدؤلي على رأس ألف فارس لملاقاتهم^(٤)، وقد تسبب حب أبي الأسود لعلي بن أبي طالب أن أودى بسبب ذلك فعندما

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ٢٠٥، ٢١٢، ٢٣٣.

(٢) ابن بكار: ج ٢ ص ٥٣٦ - ٥٣٧.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٤٣.

(٤) الدينوري: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(٤) أبو سعيد السكري: ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن، مؤسسة ايف، بيروت، ١٩٨٢م ص ٦٤.

(٤) القفطي: أنباه الرواه، تحقيق/ محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٨٦م، ج ١ ص ٥٦.

تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة عين زياد بن أبيه على العراق، فكان أبو الأسود يأتيه ويطلب الحاجة فربما قضى زيادا له حاجته وربما ثناه عن ذلك ما يعرف من هواه في علي بن أبي طالب فقال في ذلك:

رأيت زياداً صد عنى وردني وما كان خياباً من القوم سائله

نفذ حاجات الرجال وحاجتي كداء الجوى في جوفه لا يزابله^(٤)

وكان أبو الأسود له ثقله في أيام الخلافة الراشدة، معروف قدره حتى إنه كان قد استعمل ابنه عطاء على شرطة البصرة وبعج^(٥).

وبعد قيام الدولة الأموية أصبح من الواضح أن دور الأحباش ومكانتهم أصبح يهمل من قبل الخلفاء الأمويين، والدليل هو حديث عبد الله بن صفوان مع معاوية بن أبي سفيان، وطلب في حديثه هذا أن يهتم بالأحباش ويخالطهم بنفسه وقومه^{(٦)(١)}.

وبعد العرض السابق لدور الأحباش العسكري في بعض حروب الجاهلية و صدر الإسلام إتضح أهمية الأحباش كقوة عسكرية، مما ينفي رأي أحد الباحثين حينما قال أن الأحباش لم يلعبوا دوراً خطيراً في تلك الحروب^{(٧)(٢)}.

(١) ابن بكار: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٧٥.

(٢) جواد على المفصل: ج ٤، ص ٣٦.